تأليف

الإمام برهان الإسلام الزرنوجي رحمه الله

اعتنى بشرحه وضبط ألفاظه
عبد العزيز صقر شاهين

طبعة جديدة مصححة ملونة

مكتبة البشرى
كراتشي - باكستان

تأليف

الإمام برهان الإسلام الزرنوجي رحمه الله

اعتنى بشرحه وضبط ألفاظه

عبد العزيز صقر شاهين

طبعة جديدة مصححة ملونة

اسم الكتاب : تعليم المتعلم طريق التعلم

تأليف : الإمام برهان الإسلام الزرنوجي رحمه الله

عدد الصفحات : 64

السعر : =/22 روبية

الطبعة الأولى : ١٤٣١هـ ٢٠١٠ء

اسم الناشر : مكتبة البشرى

جمعية شودهري محمد علي الخيرية.(مسجّلة)

Z-3، اوورسيز بنكلوز جلستان جوهر، كراتشي، باكستان.

الهاتف : +92-21-7740738

الفاكس : +92-21-4023113

البريد الإلكتروني : al-bushra@cyber.net.pk

الموقع على الإنترنت : www.ibnabbasaisha.edu.pk

يطلب من : مكتبة البشرىٰ، کراچی۔ +92-321-2196170

مكتبة الحرمين، اُردو بازار، لاہور۔ +92-321-4399313

المصباح، ١٦ اُردو بازار لاہور۔ 042-7124656-7223210

بك لينڈ، سٹی پلازہ کالج روڈ، راولپنڈی۔ 051-5773341-5557926

دار الإخلاص، نزد قصّہ خوانی بازار پشاور۔ 091-2567539

مكتبة رشيدية، سرکی روڈ، کوئٹہ۔ 0333-7825484

وأيضاً يوجد عند جميع المكتبات المشهورة

مقدمة

الحمد لله العليم الذي خلقنا وعلمنا ولم يتركنا سدى، وأنعم علينا بنعمة الوجود ثم بنعمة الإيمان والمعرفة والهدى، وأكرمنا بالرسول المعلم محمد المصطفى ﷺ، وأعزنا بصحابته الطيبين العارفين، أهل السداد والرشاد والفِدَى رضوان الله عليهم، وعلى من تبعهم بإحسان، أما بعد:

إن قضية التربية والتعليم في البلاد الإسلامية من كبرى القضايا ومن عظائم المهمات، فهي مسألة قائمة بذاتها؛ لأن أمة الإسلام أمة خاصة في طبيعتها ومنهجها وأهدافها، أمة ذات مبدأ وعقيدة، ورسالة ودعوة وجهاد، يجب أن تكون التربية والتعليم خاضعين لمبادئ الأمة وعقيدتها ورسالتها ودعوتها، وكل تربية أو تعليم لا تحمل ذلك ولا تتضمنه فهي خيانة للأمة، وغدر بالذمة.

التربية في الإسلام لم تترك للاجتهادات الإنسانية البحتة، ولا لمن تستهويهم المبادئ المستوردة، وتأسرهم الأفكار الوافدة لتأخذ بهم ذات اليمين تارة، وذات الشمال تارة.

التربية تجسد أهداف الأمة التي تعيش من أجلها، وتموت في سبيلها، تجسد العقيدة المستقرة في قلوبها، واللغة التي تنسج بها حضارتها، والمثل الأعلى الذي تتطلع إليه، والتاريخ الذي تغار عليه.

أمة الإسلام بحاجة إلى نظام تربوي وسياسة تعليمية تناسب طبيعتها، وتسير مع مثلها العليا في عقيدتها وشريعتها وروحها الجهادية؛ لتعود لها عزتها، وتسترد أمجادها.

تربية تقوم عليها حياة المسلم من أولها إلى آخرها، وتشمل المجتمع بكل طبقاته، وتعيش معه في كل ظروفه وأحواله. تربية إسلامية منهجية، تنتظم كل سنوات العمر ومراحل الدراسة، من رياض الأطفال حتى أعلى الدراسات العليا، التربية وظيفة صناعة الرجال، وصياغة العقول، وصيانة السلوك، وتحقيق أهداف كل العلوم؛ ليكون الإنسان قادرًا على حسن المسيرة في هذه الحياة وفق أهدافه النبيلة وغاياته السامية. التربية هي تعهد المسلم بالإصلاح في عقيدته وعبادته وخلقه. التربية هي السعي إلى إصلاح الحياة في كل جوانبها من أجل بلوغ السعادة في الدنيا والآخرة.

وأن هذا الكتاب الذي بين يديك تعليم المتعلم طريق التعلم يحتوي على آداب التعليم والتعلم وطريقهما، وإن هذا الكتاب أحاط في مهده جل مسائل الآداب الدراسية، وجمع فيه طرق الإفادة والاستفادة، وتحصيل ثمراتهما في ضوء رعاية آداب التعليم والتعلم، فلابد لدارس العلم أن يعتني بآداب التعليم والتعلم؛ ولأهمية هذا الكتاب تعليم المتعلم طريق التعلم احتاج الأمر إلى إخراجه في ثوبه الجديد في طباعة حديثة، بحيث يستفيد منه الطلاب حق الاستفادة، فقامت – بعون الله وتوفيقه – مكتبة البشرى بأداء هذه المهمة.

نرجو من الله سبحانه وتعالى كامل الرجاء أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بفضله العامة، ويجعله في ميزان حسناتنا، ويستر زلاتنا برحمته الخاصة، إنه سميع مجيب.

منهج عملنا في هذا الكتاب

ولأهمية هذا الكتاب قمنا بإحداث طبعه في أسلوب أنيق وطراز جديد؛ ليكون أشمل نفعاً، فاتبعنا الميزات التالية:

- بذلنا مجهودنا في تصحيح العبارة من الأخطاء اللفظية والمعنوية التي توارثت قديما في الطبعات الهندية والباكستانية مع رعاية قواعد الإملاء والترقيم.
- وضعنا عناوين المباحث في رأس الصفحات؛ تسهيلا للدارس.
- شكلنا ما يلتبس أو يشكل من الكلمات الصعبة.
- جلّينا سائر عناوين المباحث باللون الأحمر؛ تنبيها على أهميتها.
- أشرنا إلى التعليقات التي في حاشية الكتاب بـــ"أسود غامق" في المتن.
- راجعنا في تصحيح هذا الكتاب إلى جميع النسخ المطبوعة.

نرجو من الله سبحانه وتعالى كامل الرجاء أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بفضله العام، ويجعله في ميزان حسناتنا، ويستر زلاتنا، برحمته الخاصة إنه سميع مجيب.

مكتبة البشرى

كراتشي، باكستان

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ للهِ الَّذِى فَضَّلَ بَنِي آدَمَ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ عَلَى جَمِيْعِ الْعَالَمِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ سَيِّدِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ يَنَابِيْعِ الْعُلُوْمِ وَالْحِكَمِ.

وَبَعْدُ: فَلَمَّا رَأَيتُ كَثِيْرًا مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ فِيْ زَمَانِنَا يَجِدُّوْنَ إِلَى الْعِلْمِ وَلَا يَصِلُوْنَ، وَمِنْ مَنَافِعِهِ وَثَمَرَاتِهِ يُحْرَمُوْنَ؛ لِمَا أَنَّهُمْ أَخْطَؤُوا طَرَائِقَهُ وَتَرَكُوْا شَرَائِطَهُ، وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ الطَّرِيْقَ ضَلَّ، فَلَا يَنَالُ الْمَقْصُوْدَ، قَلَّ أَوْ جَلَّ، أَرَدْتُ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيْقَ التَّعْلِيم، عَلَى مَا رَأَيْتُ فِى الْكُتُبِ وَسَمِعْتُ مِنْ أَسَاتِذَتِيْ أُولِي الْعِلْمِ وَالْحِكَمِ؛ رَجَاءَ الدُّعَاءِ لِي مِنَ الرَّاغِبِيْنَ فِيْهِ الْمُخْلِصِيْنَ، بِالْفَوْزِ وَالْخَلَاصِ فِي يَومِ الدِّينِ، بَعدَ مَا اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِيْهِ، وَسَمَّيْتُهُ: "تَعْلِيْمَ الْمُتَعَلِّمِ طَرِيْقَ التَّعَلُّمِ" وجعلته فصولا:

١- فصل: فِي مَاهِيَةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ وَفَضْلِهِ.

٢- فصل: فِي النِّيَّةِ فِي حَالِ التَّعَلُّمِ.

٣- فصل: فِي اخْتِيَارِ الْعِلْمِ وَالْأُسْتَاذِ وَالشَّرِيْكِ وَالثَّبَاتِ.

٤- فصل: فِي تَعْظِيْمِ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ.

٥- فصل: فِي الْجِدِّ وَالْمُوَاظَبَةِ وَالْهِمَّةِ.

٦- فصل: فِي بِدَايَةِ السَّبْقِ وَتَرْتِيْبِهِ وَقَدْرِهِ.

٧- فصل: فِي التَّوَكُّلِ.

٨- فصل: فِي وَقْتِ التَّحْصِيْلِ.

٩- فصل: فِي الشَّفَقَةِ وَالنَّصِيْحَةِ.

وَمَا تَوْفِيْقِي إِلاَّ بِاللهِ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيْبُ.

فصل في ماهية العلم والفقه وفضله

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ. اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ طَلَبُ كُلِّ عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ طَلَبُ **عِلْمِ الْحَالِ**؛ فَإِنَّهُ يُقَالُ: أَفْضَلُ الْعِلْمِ عِلْمُ الْحَالِ، وَأَفْضَلُ الْعَمَلِ حِفْظُ الْحَالِ، وَيُفْتَرَضُ عَلَى الْمُسْلِمِ طَلَبُ مَا يَقَعُ لَهُ فِيْ حَالِهِ، فِي أَيِّ حَالٍ كَانَ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَيُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ مَا يَقَعُ لَهُ فِي صَلَاتِهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّيْ بِهِ فَرْضَ الصَّلَاةِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ بِقَدْرِ مَا يُؤَدِّيْ بِهِ الْوَاجِبَ؛ لِأَنَّ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْفَرْضِ يَكُوْنُ فَرْضًا، وَمَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى إِقَامَةِ الْوَاجِبِ يَكُوْنُ وَاجِبًا، وَكَذَلِكَ فِي الصَّوْمِ وَالزَّكَاةِ إِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَالْحَجُّ إِنْ وَجَبَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ فِي الْبُيُوْعِ إِنْ كَانَ يَتَّجِرُ.

قِيْلَ **لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ** رحمه الله: أَلَاتُصَنِّفُ كِتَابًا فِي الزُّهْدِ؟ قَالَ: صَنَّفْتُ كِتَاباً

علم الحال: يريد به الأحوال والشؤون التي لا بد أن تعرض للإنسان في حياته، كالإيمان ومعرفة أحكام العبادات، والمعاملات الضرورية، وطرائق السعي إلى الرزق، والعمل لاكتساب ما يحفظ الرمق، فلأجل أن يكون مؤمنا، يجب أن يتعلم ما يصل به إلى الإيمان من علم أصول الدين، ولأجل أن يعرف ما فرضه الله عليه من واجبات، يجب أن ينظر في علم الفقه؛ ليعرف حدود ذلك، ولأجل أن يتعرف سبل السعي إلى الرزق والحصول على المعاش، يجب أن يتعلم من علوم الحياة ما يستطيع تعلمه.

فالغرض الذي يرمي إليه الدين الإسلامي، هو الوصول بالإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة، قال الله عزوجل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الجمعة: ١٠)، وجاء فيما رواه البيهقي من الحديث الشريف أن النبي ﷺ قال: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعربون به كتاب الله ثم انتهوا وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا.

محمد بن الحسن: يصله بأبي حنيفة رحمه الله صلة قرابة، وهو من تلاميذ أبي يوسف رحمه الله.

فِي الْبُيُوْعِ، يَعْنِيْ الزَّاهِدَ هُوَ مَنْ يَتَحَرَّزُ عَنِ الشُّبْهَاتِ وَالْمَكْرُوْهَاتِ فِي التِّجَارَاتِ، وَكَذلِكَ فِي سَائِرِ الْمُعَامَلَاتِ وَالْحِرَفِ، وَكُلُّ مَنِ اشْتَغَلَ بِشَيْءٍ مِنْهَا يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ التَّحَرُّزِ عَنِ الْحَرَامِ فِيْهِ، وَكَذلِكَ يُفْتَرَضُ عَلَيْهِ عِلْمُ أَحْوَالِ الْقَلْبِ، مِنَ التَّوَكُّلِ وَالْإِنَابَةِ وَالْخَشْيَةِ وَالرِّضَا؛ فَإِنَّهُ وَاقِعٌ فِي جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ.

وَشَرْفُ الْعِلْمِ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ؛ إِذْ هُوَ الْمُخْتَصُّ بِالْإِنْسَانِيَّةِ؛ لِأَنَّ جَمِيْعَ الْخِصَالِ سِوَى الْعِلْمِ يَشْتَرِكُ فِيْهَا الْإِنْسَانُ وَسَائِرُ الْحَيَوَانَاتِ، كَالشَّجَاعَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْجُوْدِ وَالشَّفَقَةِ وَغَيرِهَا سِوَى الْعِلْمِ، وَبِهِ أَظْهَرَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ آدَمَ عليه السلام عَلَى الْمَلَائِكَةِ، وَأَمَرَهُمْ **بِالسُّجُوْدِ لَهُ**، وَإِنَّمَا شَرَفُ الْعِلْمِ لِكَوْنِهِ وَسِيْلَةً إِلَى التَّقْوَى الَّتِيْ يَسْتَحِقُّ بِهَا الْمَرْءُ الْكَرَامَةَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى وَالسَّعَادَةَ الْأَبَدِيَّةَ، كَمَا قِيْلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رحمه الله:

تَعَلَّمْ فَإِنَّ الْعِلْمَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ ... وَفَضْلٌ وَعُنْوَانٌ لِكُلِّ **الْمَحَامِدِ**

وَكُنْ مُسْتَفِيْدًا كُلَّ يَوْمٍ زِيَادَةً ... مِنَ الْعِلْمِ وَاسْبَحْ فِي **بُحُوْرِ الْفَوَائِدِ**

تَفَقَّهْ فَإِنَّ الْفِقْهَ أَفْضَلُ قَائِدٍ ... إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَأَعْدَلُ **قَاصِدِ**

بالسجود له: حيث قال عز وجل: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٣١)، وأمرهم بالسجود له في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:٣٤)، والسجود معناه الخضوع. **المحامد:** جمع محمدة – بفتح الميمين – مصدر ميمي بمعنى المحمودة، يعني أن العلم دليل على أن صاحبه ذو فضل عظيم وأخلاق كريمة وخصال محمودة.

بحور الفوائد: أي في الفوائد التي كالبحور كثرة وعظما، وفيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طـه:١١٤). **قاصد:** عادل.

هُوَ الْعِلْمُ الْهَادِيْ إِلَى **سَنَنِ** الْهُدَى هُوَ الْحِصْنُ يُنْجِيْ مِنْ جَمِيْعِ الشَّدَائِدِ
فَإِنَّ فَقِيْهًا وَاحِدًا مُتَوَرِّعًا أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ **مِنْ أَلْفِ عَابِدِ**

وَكَذٰلِكَ فِيْ سَائِرِ الْأَخْلَاقِ، نَحْوُ الْجُوْدِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَالْجُرْأَةِ وَالتَّكَبُّرِ وَالتَّوَاضُعِ، وَالْعِفَّةِ وَالْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيْرِ وَغَيْرِهَا؛ فَإِنَّ الْكِبْرَ وَالْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْإِسْرَافَ حَرَامٌ، وَلَا يُمْكِنُ التَّحَرُّزُ عَنْهَا إِلَّا بِعِلْمِهَا وَعِلْمِ مَا يُضَادُّهَا، فَيُفْتَرَضُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ عِلْمُهَا، وَقَدْ صَنَّفَ السَّيِّدُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الشَّهِيْدُ نَاصِرُ الدِّيْنِ أَبُو الْقَاسِمِ كِتَابًا فِي الْأَخْلَاقِ، وَنِعْمَ مَا صَنَّفَ، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ حِفْظُهَا.

وَأَمَّا حِفْظُ مَا يَقَعُ فِي الْأَحَايِيْنِ، فَفَرْضُ عَلَى سَبِيْلِ الْكِفَايَةِ، إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ فِي الْبَلْدَةِ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِيْنَ، فَإِن لَمْ يَكُنْ فِي الْبَلْدَةِ مَنْ يَقُوْمُ بِهِ اشْتَرَكُوْا جَمِيْعًا فِي **الْمَأْثَمِ**، فَيَجِبُ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِذَلِكَ، وَيُجْبِرَ أَهْلَ الْبَلْدَةِ عَلَيْهِ.

وَقَدْ قِيْلَ: إِنَّ عِلْمَ مَا يَقَعُ عَلَى نَفْسِهِ فِي جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الطَّعَامِ **لَا بُدَّ لِكُلِّ**

سنن: السنن - بفتح السين -: الطريق. **من ألف عابد:** ليس المراد بالألف تحديد العدد، بل بيان الكثرة، وإنما كان الفقيه المتورع الواحد أشد على الشيطان من كثير من العابدين غير الفقهاء؛ لأن الفقيه على بينة من الحلال والحرام، فلا يستطيع الشيطان أن يضله، أما العابد غير الفقيه، فهو يعبد الله على غير بصيرة، فمن الهين على الشيطان أن يورطه في الضلال دون أن يشعر، ومن السهل أن يوقعه في حبائل متشابكة من الشبه والشكوك.

المأثم: الإثم والمعصية، وإنما اعتبر الجميع مشتركين في الإثم والمعصية، بترك ما يحتاج إليه الفرد في بعض الأحيان؛ لأنه مصلحة عامة، فإذا انقطعت حاجة الفرد إليها في بعض الأحيان، فحاجة المجموع إليها دائمة لا تنقطع. **لا بد لكل إلخ:** يتلخص معنى هذه العبارة في أن من العلوم ما هو ضروري للمرء، لا يستطيع أن يؤدي واجباته الدينية والدنيوية إلا به، كما لا يستطيع أن يعيش بدون طعام يقيم به أوده ويسد رمقه، فتعلم مثل هذه العلوم واجب شرعا =

وَاحِدٍ مِنْهُ، وَعِلْمُ مَا يَقَعُ فِي بَعْضِ الْأَحَايِـيْنِ بِمَنْزِلَةِ الدَّوَاءِ، يُحْتَاجُ إِلَيْهِ حِيْنَ الْمَرَضِ فَقَطْ، وَ**عِلْمُ النُّجُوْمِ** بِمَنْزِلَةِ الْمَرَضِ، فَتَعَلُّمُهُ حَرَامٌ؛ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، وَالْهَرَبُ مِنْ قَضَاءِ اللهِ تَعَالَى وَقَدَرِهِ غَيْرُ مُمْكِنٍ، فَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَشْتَغِلَ فِي جَمِيْعِ أَوْقَاتِهِ بِذِكْرِ اللهِ تَعَالَى وَالدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَالصَّدَقَاتِ الدَّافِعَةِ لِلْبَلَاءِ، وَيَسْأَلَ اللهَ تَعَالَى الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِيَصُوْنَهُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْبَلَاءِ وَالْآفَاتِ؛ فَإِنَّ مَنْ رُزِقَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ، فَإِنْ كَانَ الْبَلَاءُ مُقَدَّرًا يُصِيْبُهُ لَا مَحَالَةَ، لَكِنْ يُـيَسِّرُهُ اللهُ عَلَيْهِ، وَيَرْزُقُهُ الصَّبْرَ بِبَرَكَةِ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ النُّجُوْمِ قَدْرَ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْقِبْلَةَ وَأَوْقَاتَ الصَّلَاةِ، فَيَجُوْزُ ذَلِكَ،

= على كل فرد بعينه، ومنها ما قد يحتاج إليه في بعض الأحيان، كما يحتاج الإنسان إلى الدواء حين المرض، فتعلم مثل هذه العلوم لا يجب على كل فرد بعينه، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من العارفين بها يكفي لسد حاجة هذه الجماعة إليها، فمثلا لا يجب على كل فرد أن يكون طبيبا، ولكن يجب أن يكون في كل جماعة عدد من الأطباء يكفي لعلاج من يمرض منهم.

علم النجوم: يظهر أن المؤلف لا يقصد بعلم النجوم علم الفلك، بدليل قوله: "والهرب من قضاء الله غير ممكن؛ فإن علم الفلك لا يبحث في وسائل الهرب من قضاء الله، وإنما هو علم يبحث في عالم الكواكب والأفلاك، ونظام سيرها وقواعد الجاذبية بينها، وأوقات شروقها وغروبها وغير ذلك، مما يحتاج إليه أشد الاحتياج في كثير من الشؤون الدينية والدنيوية، ومن يطلع على أبحاث الفلكيـين الدقيقة، لا يسعه إلا أن يخر ساجدا لخالق هذا العالم الذي يبهر العقول ويدهش الألباب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٠)، وقال ﷺ: تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ثم انتهوا، وتعلموا من العربية ما تعربون به كتاب الله ثم انتهوا، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر ثم انتهوا.

وَأَمَّا تَعَلُّمُ عِلْمِ الطِّبِّ فَيَجُوْزُ؛ لِأَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ، فَيَجُوْزُ تَعَلُّمُهُ كَسَائِرِ الْأَسْبَابِ، وَقَدْ تَدَاوَى النَّبِيُّ عليه السلام، وَقَدْ حُكِيَ عَنِ الشَّافِعِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: الْعِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الْفِقْهِ لِلْأَدْيَانِ، وَعِلْمُ الطِّبِّ لِلْأَبْدَانِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ **بُلْغَةُ مَجْلِسٍ**.

وَأَمَّا تَفْسِيْرُ الْعِلْمِ: فَهُوَ صِفَةٌ يَتَجَلَّى بِهَا لِمَنْ قَامَتْ هِيَ بِهِ **الْمَذْكُوْرُ** كَمَا هُوَ. وَالْفِقْهُ: مَعْرِفَةُ دَقَائِقِ الْعِلْمِ مَعَ **نَوْعِ** عِلَاجٍ. قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ رحمه الله: الْفِقْهُ مَعْرِفَةُ النَّفْسِ مَا لَهَا وَمَا عَلَيْهَا، وَقَالَ: مَا الْعِلْمُ إِلَّا الْعَمَلُ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ تَرْكُ الْعَاجِلِ لِلْآجِلِ، فَيَنْبَغِيْ لِلْإِنْسَانِ أَن لاَّ يَغْفُلَ عَنْ نَفْسِهِ وَمَا يَنْفَعُهَا وَمَا يَضُرُّهَا فِي أُولَاهَا وَأُخْرَاهَا، فَيَسْتَجْلِبُ مَا يَنْفَعُهَا وَيَجْتَنِبُ مَا يَضُرُّهَا؛ كَيْلَا يَكُوْنَ عَقْلُهُ وَعِلْمُهُ حُجَّةً عَلَيْهِ، فَيَزْدَادَ عُقُوْبَةً، نَعُوْذُ بِاللّٰهِ مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِهِ آيَاتٌ وَأَخْبَارٌ صَحِيْحَةٌ مَشْهُوْرَةٌ، لَمْ نَشْتَغِلْ بِذِكْرِهَا؛ كَيْلَا **يَطُوْلَ الْكِتَابُ**.

بلغة مجلس: كفاية مجلس، أي يكتفي للتحدث به في المجلس، ولو صح أن الإمام الشافعي رحمه الله قال هذا، فليس يقصد منه أن غير هذين العلمين لا فائدة منه سوى التحدث به في المجالس، وإنما يقصد أنه يجب وجوبا عينيا على كل فرد أن يعرف من الفقه ما يستقيم به دينه، وتصح عبادته، ومن علم الطب ما يحفظ به صحته، ويتقي أسباب الأمراض، وهو ما يسمى "علم تدبير الصحة" وما عدا هذين العلمين فهو واجب وجوبا كفائيا.

المذكور إلخ: أي ما يتعلق به العلم. كما هو: أي على حقيقته. **نوع:** هذا تعريف للفقه بالمعنى اللغوي العام الذي يشمل كل العلوم. **يطول الكتاب:** قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (الزمر:٩)، وقال عزوجل: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة:١١)، وقال عزوجل: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة:٢٦٩)، =

فصل في النية حال التعلم

ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ النِّيَّةِ فِي زَمَانِ تَعَلُّمِ الْعِلْمِ؛ إِذِ النِّيَّةُ هِيَ الْأَصْلُ فِيْ جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ؛ لِقَوْلِهِ عليه السلام: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، حَدِيْثٌ صَحِيْحٌ، وَعَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: كَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُوْرَةِ أَعْمَالِ الدُّنْيَا، وَيَصِيْرُ بِحُسْنِ النِّيَّةِ مِنْ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، وَكَمْ مِنْ عَمَلٍ يَتَصَوَّرُ بِصُوْرَةِ أَعْمَالِ الْآخِرَةِ، ثُمَّ يَصِيْرُ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا بِسُوْءِ النِّيَّةِ، وَيَنْبَغِيْ أَن يَنْوِيَ الْمُتَعَلِّمُ بِطَلَبِ الْعِلْمِ رِضَاءَ اللهِ تَعَالَى وَالدَّارَ الْآخِرَةَ، وَإِزَالَةَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ سَائِرِ الْجُهَّالِ، وَإِحْيَاءَ الدِّيْنِ وَإِبْقَاءَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ بَقَاءَ الْإِسْلَامِ بِالْعِلْمِ، وَلَا يَصِحُّ الزُّهْدُ وَالتَّقْوَى مَعَ الْجَهْلِ، أَنْشَدَنِي الْأُسْتَاذُ الشَّيْخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ بُرْهَانُ الدِّيْنِ صَاحِبُ "الْهِدَايَةِ" لِبَعْضِهِمْ:

فَسَادٌ كَبِيْرٌ عَالِمٌ مُتَهَتِّكٌ ... وَأَكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ

هُمَا فِتْنَةٌ فِي الْعَالَمِيْنَ عَظِيْمَةٌ ... لِمَنْ بِهِمَا فِيْ دِيْنِهِ يَتَمَسَّكُ

وَيَنْوِيْ بِهِ الشُّكْرَ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ وَصِحَّةِ الْبَدَنِ، وَلَا يَنْوِيْ بِهِ إِقْبَالَ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَلَا اسْتِجْلَابَ حُطَامِ الدُّنْيَا، وَالْكَرَامَةَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رحمه الله: لَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَبِيْدِيْ لَأَعْتَقْتُهُمْ وَتَبَرَّأْتُ عَنْ وَلَائِهِمْ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَنْ وَجَدَ لَذَّةَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ قَلَّمَا يَرْغَبُ فِيْمَا عِنْدَ النَّاسِ.

أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأَجَلُّ الْأُسْتَاذُ قِوَامُ الدِّيْنِ حَمَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ بْنِ إِسْمَاعِيْلَ الصَّفَّارُ الْأَنْصَارِيُّ إِمْلَاءً لِأَبِيْ حَنِيْفَةَ رحمه الله شِعْرًا:

= وجاء في "البخاري" أن النبي ﷺ قال: من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، خير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل.

مَنْ طَلَبَ الْعِلْمِ لِلْمَعَادِ فَازَ بِفَضْلٍ مِنَ الرَّشَادِ
فَيَا لِخُسْـرَانِ طَالِبِيـهِ لِنَيْلِ فَضْلٍ مِنَ الْعِبَادِ

اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا طَلَبَ الْجَاهَ لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنْفِيْذِ الْحَقِّ وَإِعْزَازِ الدِّيْنِ، لَا لِنَفْسِهِ وَهَوَاهُ، فَيَجُوْزُ ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يُقِيْمُ بِهِ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوْفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَن يَتَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ الْعِلْمَ بِجُهْدٍ كَثِيْرٍ، فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَى الدُّنْيَا الْحَقِيْرَةِ الْقَلِيْلَةِ الْفَانِيَةِ.

هِيَ الدُّنْيَا أَقَلُّ مِنَ الْقَلِيْلِ وَعَاشِقُهَا أَذَلُّ مِنَ الذَّلِيْلِ
تُصِمُّ بِسِحْرِهَا قَوْمًا وَتُعْمِيْ فَهُمْ مُتَحَيِّرُوْنَ بِلَا دَلِيْلِ

وَيَنْبَغِيْ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَلَّا يُذِلَّ نَفْسَهُ بِالطَّمَعِ فِيْ غَيْرِ مَطْمَعٍ، وَيَتَحَرَّزَ عَمَّا فِيْهِ مَذَلَّةُ الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَكُوْنَ مُتَوَاضِعًا، وَالتَّوَاضُعُ بَيْنَ التَّكَبُّرِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْعِفَّةِ، وَيُعْرَفُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْأَخْلَاقِ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ الأُسْتَاذُ رُكْنُ الإِسْلَامِ الْمَعْرُوْفُ بِالأَدِيْبِ الْمُخْتَارِ رحمه الله شِعْرًا لِنَفْسِهِ:

إِنَّ التَّوَاضُعَ مِنْ خِصَالِ الْمُتَّقِيْ وَبِهِ التَّقِيُّ إِلَى الْمَعَالِيْ يَرْتَقِي
وَمِنَ الْعَجَائِبِ عُجْبُ مَنْ هُوَ فِيْ حَالِهِ أَهُوَ السَّعِيْدُ أَمِ الشَّقِي
أَمْ كَيْفَ يُخْتَمُ عُمْرُهُ أَوْ رُوْحُهُ يَوْمَ النَّوَى مُتَسَفِّلٌ أَوْ مُرْتَقِي
وَالْكِبْرِيَاءُ لِرَبِّنَا صِفَةٌ بِهِ مَخْصُوْصَةٌ فَتَجَنَّبْهَا وَاتَّقِي

قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله لِأَصْحَابِهِ: **عَظِّمُوْا عَمَائِمَكُمْ**، وَوَسِّعُوْا أَكْمَامَكُمْ، . . . . .

عظموا عمائمكم إلخ: المقصود من هذا أنه ينبغي للمتعلم أن يظهر بالمظهر الذي يكسبه الإجلال والاحترام؛ تعظيما للعلم وإكبارا لشأنه.

وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ؛ لِئَلَّا يَسْتَخِفَّ بِالْعِلْمِ وَأَهْلِهِ، وَيَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى كِتَابِ الْوَصِيَّةِ الَّتِيْ كَتَبَهَا أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله لِيُوْنُسَ بْنِ خَالِدٍ السَّمْتِي رحمه الله عِنْدَ الرُّجُوْعِ إِلَى أَهْلِهِ، يَجِدُهُ مَنْ يَطْلُبُهُ، وَقَدْ كَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الْأَئِمَّةِ عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ قَدَّسَ اللهُ رُوْحَهُ الْعَزِيْزَ أَمَرَنِيْ بِكِتَابَتِهِ عِنْدَ الرُّجُوْعِ إِلَى بَلَدِيْ وَكَتَبْتُهُ، وَلَا بُدَّ لِلْمُدَرِّسِ وَالْمُفْتِيْ فِيْ مُعَامَلَاتِ النَّاسِ مِنْهُ.

فصل في اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات

يَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَن يَخْتَارَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ **أَحْسَنَهُ**، وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيْ أَمْرِ دِيْنِهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي الْمَآلِ، فَيُقَدِّمُ عِلْمَ التَّوْحِيْدِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَيَعْرِفُ اللهَ تَعَالَى بِالدَّلِيْلِ؛ فَإِنَّ إِيْمَانَ الْمُقَلِّدِ وَإِنْ كَانَ صَحِيْحًا عِنْدَنَا، لَكِنْ يَكُوْنُ آثِمًا **بِتَرْكِ الْاسْتِدْلَالِ**، وَيَخْتَارُ **الْعَتِيْقَ** دُوْنَ الْمُحْدَثَاتِ، قَالُوْا: عَلَيْكُمْ بِالْعَتِيْقِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْمُحْدَثَاتِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِيْ ظَهَرَ بَعْدَ انْقِرَاضِ الْأَكَابِرِ مِنَ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّهُ يُبْعِدُ الطَّالِبَ عَنِ الْفِقْهِ وَيُضِيْعُ الْعُمُرَ، وَيُوْرِثُ الْوَحْشَةَ وَالْعَدَاوَةَ، وَهُوَ مِنْ **أَشْرَاطِ** السَّاعَةِ، وَارْتِفَاعِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، كَذَا **وَرَدَ فِي الْحَدِيْثِ**.

أحسنه: أحسن كل علم ما كان من جوهره وصريحه، وخلص من المناقشات والخلافات، قال الشاعر:

ما حوى العلم جميعا أحد   لا ولو مارسه ألف سنه
إنما العلم بعيد غوره   فخذوا من كل علم أحسنه

بترك الاستدلال: أي معرفة الدليل، وأفضل الأدلة في ذلك ما كان فطريا بسيطا، كذلك الدليل الناصع الذي قاله الأعرابي في لهجة قوية صريحة: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فأرض ذات فجاج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على العلي القدير؟.

العتيق: يريد بالعتيق ما تم الاتفاق عليه بعد أن قام البرهان القاطع على صحته، ويريد بالحديث ما يزال الخلاف فيه محتدما، ولم تنفك أدلة الآراء المتصادمة فيه، ينقض بعضها بعضا، وذلك لأنه لا ينبغي للمتعلم أن يعتقد شيئا قبل أن يقوم البرهان على صحته.

أشراط: جمع شرط - بفتح الشين والراء - العلامة، أي علامات يوم القيامة.

ورد في الحديث: يشير إلى ما رواه الديلمي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: تعلموا العلم قبل أن يرفع؛ فإن أحدكم لا يدري متى يفتقر إلى ما عنده، وعليكم بالعلم، وإياكم والتنطع والتبدع والتعمق، وعليكم بالعتيق.

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الْأُسْتَاذِ، فَيَنْبَغِيْ أَنْ يَخْتَارَ الْأَعْلَمَ وَالْأَوْرَعَ وَالْأَسَنَّ، كَمَا اخْتَارَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله حَمَّادَ بْنَ سُلَيْمَانَ رحمه الله بَعْدَ التَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ، وَقَالَ: وَجَدْتُهُ شَيْخًا وَقُوْرًا حَلِيْمًا صَبُوْرًا، وَقَالَ: ثَبَتُّ عِنْدَ حَمَّادِ بْنِ سُلَيْمَانَ فَنَمَيْتُ.

قَالَ رحمه الله: سَمِعْتُ حَكِيْمًا مِنْ حُكَمَاءِ سَمَرْقَنْدَ يَقُولُ: إِنَّ وَاحِدًا مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ شَاوَرَنِيْ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَكَانَ عَازِمًا عَلَى الذَّهَابِ إِلَى بُخَارَى لِطَلَبِ الْعِلْمِ - وَهٰكَذَا يَنْبَغِيْ أَنْ يُشَاوَرَ فِيْ كُلِّ أَمْرٍ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُوْلَهُ ﷺ بِالْمُشَاوَرَةِ فِيْ كُلِّ الْأُمُوْرِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَفْطَنَ مِنْهُ، وَمَعَ ذٰلِكَ أُمِرَ بِالْمُشَاوَرَةِ، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِيْ جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ حَتَّى حَوَائِجَ الْبَيْتِ.

قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَنْ مَشْوَرَةٍ، وَقِيْلَ: النَّاسُ رَجُلٌ وَنِصْفُ رَجُلٍ وَلَا شَيْءَ، فَالرَّجُلُ: مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ وَيُشَاوِرُ. وَنِصْفُ الرَّجُلِ: مَنْ لَهُ رَأْيٌ صَائِبٌ وَلٰكِنْ لَا يُشَاوِرُ، أَوْ يُشَاوِرُ وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لَهُ. وَلَا شَيْءَ: مَنْ لَا رَأْيَ لَهُ وَلَا يُشَاوِرُ.

قَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ رضي الله عنه لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ رحمه الله: شَاوِرْ فِيْ أَمْرِكَ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ اللهَ تَعَالَى، وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ أَعْلَى الْأُمُوْرِ وَأَصْعَبِهَا، **فَكَانَتِ الْمُشَاوَرَةُ** فِيْهِ أَهَمَّ وَأَوْجَبَ - قَالَ الْحَكِيْمُ رحمه الله: إِذَا ذَهَبْتَ إِلَى بُخَارَى فَلَا تَعْجَلْ فِي **الْاخْتِلَافِ** إِلَى الْأَئِمَّةِ، وَامْكُثْ شَهْرَيْنِ، حَتَّى تَتَأَمَّلَ وَتَخْتَارَ أُسْتَاذًا؛ فَإِنَّكَ إِذَا ذَهَبْتَ . . . .

فكانت المشاورة إلخ: ما بين الشرطتين ليس من كلام الحكيم، بل من كلام المؤلف، ساقه هنا لبيان أهمية المشورة. **الاختلاف:** الاختلاف إلى الأئمة هو التردد على مجالسهم لأخذ العلم عنهم.

إِلَى عَالِمٍ **وَبَدَأْتَ بِالسَّبَقِ عِنْدَهُ** رُبَّمَا لَا يُعْجِبُكَ دَرْسُهُ، فَتَتْرُكَهُ وَتَذْهَبَ إِلَى آخَرَ، فَلَا يُبَارَكُ لَكَ فِي التَّعَلُّمِ، فَتَأَمَّلْ شَهْرَيْنِ فِيْ اخْتِيَارِ الْأُسْتَاذِ، وَشَاوِرْ حَتَّى لَا تَحْتَاجَ إِلَى تَرْكِهِ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُ، فَتَثْبُتَ عِنْدَهُ حَتَّى يَكُوْنَ تَعَلُّمُكَ مُبَارَكًا، وَتَنْتَفِعَ بِعِلْمِكَ كَثِيْرًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ وَالثَّبَاتَ أَصْلٌ كَبِيْرٌ فِيْ جَمِيْعِ الْأُمُوْرِ، وَلَكِنَّهُ عَزِيْزٌ، كَمَا قِيْلَ:

لِكُلٍّ إِلَى شَأْوِ الْعُلَا حَرَكَاتُ ... وَلَكِنْ عَزِيْزٌ فِي الرِّجَالِ ثَبَاتُ

قِيْلَ: الشَّجَاعَةُ صَبْرُ سَاعَةٍ، فَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَثْبُتَ وَيَصْبِرَ عَلَى أُسْتَاذٍ، وَعَلَى كِتَابٍ حَتَّى لَا يَتْرُكَهُ **أَبْتَرَ**، وَعَلَى فَنٍّ حَتَّى لَا يَشْتَغِلَ بِفَنٍّ آخَرَ قَبْلَ أَنْ يُتْقِنَ الْأَوَّلَ، وَعَلَى بَلَدٍ حَتَّى لَا يَنْتَقِلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ مِنْ غَيْرِ ضَرُوْرَةٍ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يُفَرِّقُ الْأُمُوْرَ وَيَشْغَلُ الْقَلْبَ، وَيُضَيِّعُ الْأَوْقَاتَ وَيُؤْذِيْ الْمُعَلِّمَ، وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَصْبِرَ عَمَّا تُرِيْدُهُ نَفْسُهُ وَهَوَاهُ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْهَوَى لَهُوَ الْهَوَانُ بِعَيْنِهِ ... وَصَرِيْعُ كُلِّ هَوًى صَرِيْعُ هَوَانِ

وَيَصْبِرُ عَلَى الْمِحَنِ وَالْبَلِيَّاتِ، فَقَدْ قِيْلَ: خَزَائِنُ الْمِنَنِ عَلَى قَنَاطِرِ الْمِحَنِ.

وَأَنْشِدْتُ، وَقِيْلَ: إِنَّهُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِيْ طَالِبٍ رضي الله عنه:

أَلَا لَا تَنَالُ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيْكَ عَنْ مَجْمُوْعِهَا بِبَيَانِ

ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاصْطِبَارٌ **وَبُلْغَةٌ** ... وَإِرْشَادُ أُسْتَاذٍ وَطُوْلُ زَمَانِ

وبدأت بالسبق عنده: أي بدأت بأخذ العلم عنه قبل التأمل، وحسن الاختيار. **أبتر**: ناقص.

بلغة: البلغة: ما يتبلغ به من العيش.

وَأَمَّا اخْتِيَارُ الشَّرِيْكِ، فَيَنْبَغِيْ أَنْ يَخْتَارَ الْمُجِدَّ وَالْوَرِعَ وَصَاحِبَ الطَّبْعِ الْمُسْتَقِيْمِ، وَيَفِرَّ مِنَ الْكَسْلَانِ وَالْمُعَطِّلِ، وَ**الْمِكْثَارِ** وَالْمُفْسِدِ وَالْفَتَّانِ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَابْصِرْ قَرِيْنَهُ فَكُلُّ قَرِيْنٍ بِالْمَقَارِنِ يَقْتَدِيْ

فَإِنْ كَانَ ذَا شَرٍّ فَجَانِبْهُ سُرْعَةً وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْرٍ فَقَارِنْهُ تَهْتَدِيْ

وَأُنْشِدْتُ:

لَا تَصْحَبِ الْكَسْلَانَ فِيْ حَالَاتِهِ كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادِ آخَرَ يَفْسُدُ

عَدْوَى الْبَلِيْدِ إِلَى الْجَلِيْدِ سَرِيْعَةٌ كَالْجَمْرِ يُوْضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيَخْمَدُ

وَقَالَ ﷺ: كُلُّ مَوْلُوْدٍ يُوْلَدُ عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ، إِلَّا أَنَّ أَبَوَيْهِ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، الْحَدِيْثُ، وَيُقَالُ فِي الْحِكْمَةِ بِالْفَارِسِيَّةِ:

يارِ بد بدتر بود از مارِ بد حق ذات پاك الله الصمد

يارِ بد آرد ترا سوئ جحيم يار نيكو گير تا يابى نعيم

المكثار: كثير الكلام. الفتان: هو من يثير الفتن والمنازعات بين الناس.

عن المرء لا تسأل إلخ: الذي أعرفه من رواية هذا الشعر هو قوله:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومن هذا المعنى ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: احتبروا الناس بإخوانهم؛ فإن الرجل يخادن من يعجبه نحوه أي منهجه وطريقته.

يار بد إلخ: جاء في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل لهذا الكتاب بيانا لمعنى هذا الشعر الفارسي: يعني أن الصاحب السوء أسوأ من الحية السوداء، وأكثر منها ضررا.

وقيل:

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِهِ أَوْ شَاهِدًا يُخْبِرُ عَنْ غَائِبِ

فَاعتبر الأرضَ بأسمائها واعتبر الصاحبَ بالصاحب

فاعتبر الأرض بأسمائها: يمكن أن يقال إن المراد بـ"أسمائها" الأسماء التي تطلق عليها، فكلمة "ضيعة" تدل على أنها أرض ذات زرع وضرع، وكلمة "حديقة" تدل على أنها ذات أشجار وثمار، ويمكن أن يقال: إن المراد بـ"أسمائها" أسماء ساكنيها، فإذا شاعت بينهم أسماء صخر، وحجر والقارظ ودارم، دل ذلك على أنها أرض جبلية يكثر فيها شجر القرظ والدارم، وإذا شاع فيها أسماء أسد، وثعلب وكلب أو كلاب مثلا، دل ذلك على أن هذه الحيوانات تكثر فيها.

فصل في تعظيم العلم وأهله

اعلَم أَنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ لَا يَنَالُ الْعِلْمَ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ إِلَّا بِتَعْظِيْمِ الْعِلْمِ وأَهْلِهِ، وَتَعْظِيْمِ الْأُسْتَاذِ وَتَوْقِيْرِهِ، فقد قيل: ما وَصَلَ مَنْ وصَلَ إِلَّا **بِالْحُرمة**، وما سَقَطَ مَنْ سَقَطَ إِلَّا بِتَرْكِ الْحُرْمَةِ، وَقِيْلَ: اَلْحُرْمَةُ خَيْرٌ مِنَ الطَّاعَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكْفُرُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَإِنَّمَا يَكْفُرُ بِاسْتِخْفَافِهَا، وَبِتَرْكِ الْحُرْمَةِ.

وَمِنْ تَعْظِيْمِ الْعِلْمِ تَعْظِيْمُ الْمُعَلِّم، قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: أَنَا عَبْدُ مَنْ عَلَّمَنِيْ حَرْفًا وَاحِدًا، إِنْ شَاءَ بَاعَ، وَإِنْ شَاءَ أَعْتَقَ، وَإِنْ شَاءَ اسْتَرَقَّ، وَقَدْ أُنْشِدْتُ فِيْ ذَلِكَ شِعْرًا:

رَأَيْتُ أَحَقَّ الْحَقِّ حَقَّ الْمُعَلِّم ... وَأَوْجَبَهُ حِفْظًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ

لَقَدْ حَقَّ أَنْ يُهْدَى إِلَيهِ كَرَامَةً ... لِتَعْلِيْمِ حَرْفٍ وَاحِدٍ أَلْفُ دِرْهَمِ

فَإِنَّ مَنْ عَلَّمَكَ حَرْفًا مِمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيْ الدِّيْنِ، فَهُوَ أَبُوْكَ فِي الدِّيْنِ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ سَدِيْدُ الدِّيْنِ الشِّيْرَازِيْ رحمه الله يَقُوْلُ: قَالَ مَشَايِخُنَا رحمهم الله: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُوْنَ ابْنُهُ عَالِمًا، فَيَنْبَغِيْ أَنْ يُرَاعِيَ الْغُرَبَاءَ مِنَ الفُقَهَاءِ، وَيُكْرِمَهُمْ وَيُطْعِمَهُمْ، وَيُعَظِّمَهُمْ وَيُعْطِيَهُمْ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ابْنُهُ عَالِمًا كَانَ حَفِيْدُهُ عَالِمًا.

وَمِنْ تَوْقِيْرِ الْمُعَلِّم أَلَّا يَمْشِيَ أَمَامَهُ، ولا يَجْلِسَ مَكَانَهُ، وَلَا يبتَدِئَ بِالْكَلَامِ عندَهُ إِلَّا بإذنه، وَلَا يُكْثِرَ الْكَلَامَ عِنْدَهُ، وَلَا يَسْأَلُ شيئًا عِنْدَ **مَلالَتِه**، وَيُرَاعِيْ الْوَقْتَ،

بالحرمة: الحرمة: المهابة والتعظيم. **ملالته:** الملالة: الضجر والسأم. ويراعي الوقت: أي لا يفعل شيئا إلا في الوقت المناسب له.

وَلَا يَدُقَّ الْبَابَ، بَلْ يَصْبِرَ حَتَّى يَخْرُجَ.

وَفِي الْجُمْلَةِ يَطْلُبُ رَضَاهُ، ويجتنبُ سُخْطَهُ، ويمتَثلُ أَمْرَهُ في غَيْر مَعْصِيَةِ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوْقٍ فِيْ مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ يُذْهِبُ دِيْنَهُ لِدُنْيَا غَيْرِه.

ومن توقيرِهِ توقيرُ أَولادِهِ وَمَنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ صَاحِبُ "الْهِدَايَةِ" رحمه الله يَحْكِيْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْ كِبَارِ أَئِمَّةِ بُخَارَى كَانَ يَجْلِسُ مَجْلِسَ الدَّرْسِ، وَكَانَ يَقُوْمُ فِي خِلَالِ الدَّرْسِ أَحْيَانًا، فَسَأَلُوْهُ عَنْ ذَلِكَ، فقال: إِنَّ ابْنَ أُسْتَاذِيْ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَان فِي السِّكَّةِ، وَيَجِيْءُ أَحْيَانًا إِلَى بَابِ المسجد، فإذا رأيته أَقُوْمُ لَهُ؛ تَعْظِيْمًا لأُسْتَاذي، وَكَانَ الْقَاضِي الإِمَامُ فَخْرُ الدِّيْنِ الأَرْسَابَندي رَئِيْسُ الْأَئِمَّةِ فِي "مَرْو" وَكَانَ السُّلْطَانُ يَحْتَرِمُهُ غَايَةَ الْاِحْتِرَام، وَيَقُوْلُ: إِنَّمَا وُجِدْتُ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ بِخِدْمَةِ الْأُسْتَاذِ؛ فَإِنِّيْ كُنْتُ أَخْدُمُ الأُسْتَاذَ الْقَاضِيَ الإِمَامَ أَبَا يَزِيْد الدَّبُوْسِيَّ، وَكُنْتُ أَخْدِمُهُ، وَأَطْبَخُ طَعَامَهُ ثَلَاثِيْنَ سنةً وَلَا آكُلُ مِنْهُ شَيْئًا.

وَكَانَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيُّ رحمه الله قَدْ خَرَجَ مِنْ بُخَارَى، وَسَكَنَ فِيْ بَعْضِ الْقُرَى أَيَّامًا لِحَادِثَةٍ وَقَعَتْ لَهُ، وَقَدْ زَارَهُ تَلَامِيْذُهُ غَيْرَ الشَّيْخِ الإِمَامِ الْقَاضِيْ شَمْسِ الأَئِمَّةِ الزَّرْنُجِي رحمه الله، فَقَالَ لَهُ حِيْنَ لَقِيَهُ: لِمَ لَمْ تَزُرْنِيْ؟ فَقَالَ لَهُ: كُنْتُ مَشْغُوْلًا بِخِدْمَةِ الْوَالِدَةِ، فَقَالَ: تُرْزَقُ الْعُمْرَ، وَلَا تُرْزَقُ رَوْنَقَ الدَّرْسِ، وَكَانَ كَذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ كَانَ يَسْكُنُ فِيْ أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ الْقُرَى، وَلَمْ يَنْتَظِمْ لَهُ الدَّرْسُ، فَمَنْ تَأَذَّى مِنْهُ أُسْتَاذُهُ يُحْرَمُ بَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ إِلَّا قَلِيْلًا.

إِنَّ الْمُعَلِّمَ وَالطَّبِيْبَ كِلَاهُمَا لَا يَنْصَحَانِ إِذَا هُمَا لَمْ يُكْرَمَا
فَاصْبِرْ لِدَائِكَ إِنْ جَفَوْتَ طَبِيْبَهُ وَاقْنَعْ بِجَهْلِكَ إِنْ جَفَوْتَ مُعَلِّمًا

وَحُكِيَ أَنَّ الْخَلِيْفَةَ هَارُونَ الرَّشِيْدَ بَعَثَ ابْنَهُ إِلَى الْأَصْمَعِيِّ؛ لِيُعَلِّمَهُ الْعِلْمَ وَالْأَدَبَ، فَرَآهُ يَوْمًا يَتَوَضَّأُ وَيَغْسِلُ رِجْلَهُ، وَابْنُ الْخَلِيْفَةِ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَى رِجْلِهِ، فَعَاتَبَ الْأَصْمَعِيَّ فِيْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: إِنَّمَا بَعَثْتُهُ إِلَيْكَ لِتُعَلِّمَهُ وَتُؤَدِّبَهُ، فَلِمَاذَا لَمْ تَأْمُرْهُ بِأَنْ يَصُبَّ الْمَاءَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، وَيَغْسِلَ بِالْأُخْرَى رِجْلَكَ؟

وَمِنْ تَعْظِيْمِ الْمُعَلِّمِ تَعْظِيْمُ الْكِتَابِ، فَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَأْخُذَ الْكِتَابَ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَحُكِيَ عَنِ الشَّيْخِ شَمْسِ الْأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيِّ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: إِنَّمَا نِلْتُ هَذَا الْعِلْمَ بِالتَّعْظِيْمِ؛ فَإِنِّيْ مَا أَخَذْتُ **الْكَاغَدَ** إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَالشَّيْخُ الْإِمَامُ شَمْسُ الْأَئِمَّةِ السَّرَخْسِي رحمه الله كَانَ **مَبْطُونًا**، وَكَانَ **يُكَرِّرُ** فِيْ لَيْلَةٍ، فَتَوَضَّأَ فِيْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يُكَرِّرُ إِلَّا بِالطَّهَارَةِ، وَهَذَا لِأَنَّ الْعِلْمَ نُوْرٌ، وَالْوُضُوْءَ نُوْرٌ، فَيَزْدَادُ نُوْرُ الْعِلْمِ بِهِ.

وَمِنَ التَّعْظِيْمِ الْوَاجِبِ أَلَّا يَمُدَّ رِجْلَهُ إِلَى الْكِتَابِ، وَيَضَعُ كُتُبَ التَّفْسِيْرِ فَوْقَ سَائِرِ الْكُتُبِ؛ تَعْظِيْمًا، وَلَا يَضَعَ عَلَى الْكِتَابِ شَيْئًا آخَرَ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله يَحْكِيْ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْمَشَايِخِ أَنَّ فَقِيْهًا كَانَ وَضَعَ الْمِحْبَرَةَ عَلَى الْكِتَابِ، فَقَالَ لَهُ بِالْفَارِسِيَّةِ: "**بر نيابي**"، . . . .

الكاغد: - بفتح الغين-: القرطاس. **مبطونا**: المبطون هو من يشتكي بطنه.
يكرر: يريد مذاكرة العلم. **بر نيابي**: في شرح الشيخ إبراهيم بن إسماعيل أن معنى هذه الكلمة: لا تجد النفع من علمك.

وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الْقَاضِيْ الإِمَامُ الْأَجَلُّ فَخْرُ الإِسْلَامِ الْمَعْرُوْفُ بِقَاضِيْ خَانْ رحمه الله يَقُوْلُ: إِنْ لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ الْاِسْتِخْفَافَ فَلَا بَأْسَ بِهِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْهُ.

وَمِنَ التَّعْظِيْمِ الْوَاجِبِ أَنْ يُجَوِّدَ كِتَـــابَةَ الْكِتَابِ، وَلَا **يُقَرْمِط** وَيَتْرُكَ الْحَاشِيَّةَ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُوْرَةِ، وَرَأَى أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله كَاتِبًا يُقَرْمِطُ فِي الْكِتَابَةِ، فَقَالَ: لِمَ تُقَرْمِطُ خَطَّكَ؟ إِنْ عِشْتَ تَنْدَمْ وَإِنْ مُتَّ تُشْتَمْ. يَعْنِيْ إِذَا شِخْتَ وَضَعُفَ بَصَرُكَ نَدِمْتَ عَلَى ذَلِكَ، وَحُكِى عَنِ الشَّيْخِ الإِمَامِ مَجْدِ الدِّيْنِ **السَّرْحَكِي** أَنَّهُ قَالَ: مَا قَرْمَطْنَا إِلَّا نَدِمْنَا، **وَمَا انْتَخَبْنَا** إِلَّا نَدِمْنَا، وَمَا لَمْ نُقَابِلْ إِلاَّ نَدِمْنَا، وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ تَقْطِيْعُ الْكِتَابِ مُرَبَّعًا؛ فَإِنَّهُ تَقْطِيْعُ أَبِيْ حَنِيْفَةَ رحمه الله، وَهُوَ أَيْسَرُ إِلَى الرَّفْعِ وَالْوَضْعِ وَالْمُطَالَعَةِ، وَيَنْبَغِيْ أَلَّا يَكُوْنَ فِي الْكِتَابِ شَيْءٌ مِنَ الْحُمْرَةِ؛ فَإِنَّهَا صَنِيْعُ الْفَلَاسِفَةِ لَا صَنِيْعُ السَّلَفِ، وَمِنْ مَشَايِخِنَا مَنْ كَرِهَ اسْتِعْمَالَ **الْمُرَكَّبِ** الأَحْمَرِ.

وَمِنْ تَعْظِيْمِ الْعِلْمِ تَعْظِيْمُ الشُّرَكَاءِ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ وَالدَّرْسِ وَمَنْ يُتَعَلَّمُ مِنْهُ، **وَالتَّمَلُّقُ** مَذْمُوْمٌ إِلَّا فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ يَنْبَغِيْ أَنْ يَتَمَلَّقَ لِأُسْتَاذِهِ وَشُرَكَائِهِ؛ لِيَسْتَفِيْدَ مِنْهُمْ.

يقرمط: يدقق الكتابة ويصغرها. **السرحكي:** في نسخة أخرى: الشيخ الإمام محمد مجد الدين الصرحكي. **وما انتخبنا إلخ:** لخصنا، أي ما تركنا شيئا إلا احتجنا إلى ما تركناه، ووددنا لو كان ما معنا مفصلا متوسعا فيه. وما لم نقابل: أي ما فرطنا في المراجعة ومقابلة النسخة المكتوبة حديثا على الأخرى المصححة إلا ندمنا؛ لعثورنا على أخطاء وأغلاط في النسخة الحديثة. **المركب:** المداد. **التملق:** التودد والتلطف، والتملق المذموم هو المتكلف المصطنع؛ استجلابا لفائدة مادية، لأنه حينئذ يدل على الضعف والمهانة والصغار.

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَمِعَ الْعِلْمَ، وَالْحِكْمَةَ بِالتَّعْظِيْمِ وَالْحُرْمَةِ، وَإِنْ سَمِعَ الْمَسْأَلَةَ الوَاحِدَةَ، أَوِ الْكَلِمَةَ الْوَاحِدَةَ أَلْفَ مَرَّةٍ، قِيْلَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ تَعْظِيْمُهُ بَعْدَ أَلْفِ مَرَّةٍ كَتَعْظِيْمِهِ فِيْ أَوَّلِ مَرَّةٍ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ لِلْعِلْمِ، وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَخْتَارَ نَوْعَ عِلْمٍ بِنَفْسِهِ، بَلْ يُفَوِّضُ أَمْرَهُ إِلَى الْأُسْتَاذِ؛ فَإِنَّ الْأُسْتَاذَ قَدْ حَصَلَ لَهُ التَّجَارُبَ فِيْ ذَلِكَ، فَكَانَ أَعْرَفَ بِمَا يَنْبَغِيْ لِكُلِّ أَحِدٍ، وَمَا يَلِيْقُ بِطَبِيْعَتِهِ.

وَكَانَ الشَّيْخُ الإِمَامُ الْأَجَلُّ الْأُسْتَاذُ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله يَقُوْلُ: كَانَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ يُفَوِّضُوْنَ أُمُوْرَهُمْ فِي التَّعَلُّمِ إِلَى أُسْتَاذِهِمْ، فَكَانُوْا يَصِلُوْنَ إِلَى مَقَاصِدِهِمْ وَمُرَادِهِمْ، وَالآنَ يَخْتَارُوْنَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَلَا يَحْصُلُ مَقْصُوْدُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ.

وَكَانَ يُحْكَى أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ إِسْمَاعِيْلَ الْبُخَارِيَّ رحمه الله كَانَ بَدَأَ بِكِتَابَةِ الصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رحمه الله، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ رحمه الله: إِذْهَبْ وَتَعَلَّمْ عِلْمَ الْحَدِيْثِ؛ لِمَا رَأَى أَنَّ ذَلِكَ الْعِلْمَ أَلْيَقُ بِطَبْعِهِ، فَطَلَبَ عِلْمَ الْحَدِيْثِ، فَصَارَ فِيْهِ مُقَدَّمًا عَلَى جَمِيْعِ أَئِمَّةِ الْحَدِيْثِ، وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّايجْلِسَ قَرِيْبًا مِنَ الْأُسْتَاذِ عِنْدَ **السَّبَقِ** بِغَيْرِ ضَرُوْرَةٍ، بَلْ يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُسْتَاذِ قَدْرُ الْقَوْسِ؛ فَإِنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى التَّعْظِيْمِ.

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَحْتَرِزَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الذَّمِيْمَةِ؛ فَإِنَّهَا كِلَابٌ مَعْنَوِيَّةٌ، . . . .

السبق: استماع الدرس، وكأنه أخذه من قوله تعالى في سورة النازعات: ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (النازعات:٤) على رأي من فسره بأن الملائكة والجن كانوا يتسابقون إلى استماع الوحي.

وَقَدْ قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيْهِ كَلْبٌ أَوْ صُوْرَةٌ، وَإِنَّمَا يَتَعَلَّمُ الْإِنْسَانُ بِوَاسِطَةِ الْمَلَكِ، وَالْأَخْلَاقُ الذَّمِيْمَةُ تُعْرَفُ فِيْ كِتَابِ الْأَخْلَاقِ، وَكِتَابُنَا هَذَا لَا يَحْتَمِلُ بَيَانَهَا، وَلْيَحْتَرِزْ خُصُوْصًا عَنِ التَّكَبُّرِ، وَمَعَ التَّكَبُّرِ لَا يَحْصُلُ الْعِلْمُ، قِيْلَ:

العِلْمُ حَرْبٌ لِلْفَتَى الْمُتَعَالِيْ ... كَالسَّيْلِ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِيْ

وقيل:

بِجِدِّيْ لَا بِجِدِّ كُلِّ مجد ... فَهَلْ جد بِلَا جِدٍّ بِمَجدِيْ

فَكَمْ عَبْدٌ يَقُوْمُ مَقَامَ حُرٍّ ... وَكَمْ حُرٍّ يَقُوْمُ مَقَامَ عَبْدٍ

بجدي إلخ: بكسر الجيم: أي بلغت العلا باجتهادي ونشاطي فأنا عصامي. لا بجد كل مجد: أي لم أصل إلى غرضي بسعي غيري واجتهاد سواي، فلست عظاميا. فهل جد: بفتح الجيم: حظ وبخت، أي أن الحظ والبخت لا يفيد شيئا إذا لم يكن هناك جد واجتهاد، وفرص السعادة، والمجد تسنح لكل الناس، أولأكثرهم، ولكن قل منهم من ينتهزها، فهي كالطائر يحلق فوق الرؤوس، فاليقظ النشيط يثب إليه ويمسه، والكسول البليد يقف أمامه جامدا.

فكم عبد يقوم إلخ: يعني أن الجد والعمل يرفع العبيد الأذلاء إلى مقام السادة الأمجاد، والكسل والخمول يحط السادة الأشراف إلى حضيض العبيد الأذلاء.

فصل في الجد والمواظبة والهمة

ثُمَّ لَا بُدَّ مِنَ الْجِدِّ وَالْمُوَاظَبَةِ وَالْمُلَازَمَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ فِي الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت:٦٩)، وقوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ (مريم:١٢)، وقد قيل: مَنْ طَلَبَ شَيْئًا وَجَدَّ وَجَدَ، وَمَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَ**لَجَّ** وَلَجَ، وَقِيْلَ: بِقَدْرِمَا تَتَمَنَّى تَنَالُ مَا تَتَمَنَّى، قيل: يَحْتَاجُ فِي التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ إِلَى الْجِدِّ ثَلَاثَةٌ: الْمُتَعَلِّمُ وَالْأُسْتَاذُ وَالْأَبُ إِنْ كَانَ فِي الْأَحْيَاءِ، أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأُسْتَاذُ سَدِيْدُ الدِّيْنِ الشِّيْرَازِيُّ رحمه الله لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رحمه الله:

الْجِدُّ يُدْنِيْ كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ ... وَالْجِدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ
وَأَحَقُّ خَلْقِ اللهِ بِالْهَمِّ امْرُؤٌ ... ذُوْ هِمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشٍ ضَيِّقِ
وَمِنَ **الدَّلِيْلِ** عَلَى الْقَضَاءِ وَحُكْمِهِ ... بُؤْسُ اللَّبِيْبِ وَطِيْبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الْحِجَى حُرِمَ الْغِنَى ... ضِدَّانِ يَفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقِ

وَأُنْشِدْتُ لِغَيْرِهِ:

تَمَنَّيْتَ أَنْ تُمْسِيْ فَقِيْهًا مُنَاظِرًا ... بِغَيْرِ غِنَاءٍ وَالْجُنُوْنُ فُنُوْنُ

لج: ألح وشدد، ولج: دخل. **ومن الدليل إلخ:** حيث كان يجب أن يكون البيت هو الغنى الطيب العيش؛ لتفوقه بعقله وذكائه، فلما رأينا الأحمق الغبي هو الأكثر غنى والأطيب عيشا عرفنا أن هناك قوة أخرى هي التي قلبت الأمر، وعكست ما يقتضيه العقل والمنطق، وتلك القوة هي التي يسميها الشاعر حكم القضاء، أي قضاء الله وحكمه، ولكن ما أحسن قول المتنبي:

ذوالعقل يشقى في النعيم بعقله ... وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وَلَيسَ اكْتِسَابُ الْمَالِ دُوْنَ مُشَقَّة تَتَحَمَّلُهَا فَالْعِلْمُ **كَيْفَ يَكُوْنُ**

قال أَبُو الطَّيبِ:

وَلَمْ أَرَ فِيْ عُيُوْبِ النَّاسِ عَيْبًا كَنَقْصِ الْقَادِرِيْنَ عَلَى التَّمَام

وَلَا بُدَّ لِطَالِبٍ مِنْ سَهَرِ اللَّيَالِيْ كَمَا قَالَ الشَّاعِر:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُكْتَسَبُ الْمَعَالِيْ وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهِرَ اللَّيَالِي

تَرُوْمُ الْعِزَّ ثُمَّ تَنَامُ لَيْلًا يَغُوْصُ الْبَحْرَ مَنْ طَلَبَ اللَّآلِيْ

عُلُوُّ الْكَعْبِ بِالْهِمَمِ الْعَوَالِيْ وَعِزُّ الْمَرْءِ فِيْ سَهَرِ اللَّيَالِيْ

وَمَنْ رَامَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِيْ طَلَبِ الْمَحَالِ

تَرَكْتُ النَّوْمَ رَبِّيْ فِي اللَّيَالِيْ لِأَجْلِ رِضَاكَ يَا مَوْلَى الْمَوَالِيْ

فَوَفِّقْنِيْ إِلَى تَحْصِيْلِ عِلْمٍ وَبَلِّغْنِيْ إِلَى أَقْصَى الْمَعَالِيْ

وقيل: اتَّخِذِ اللَّيْلَ جَمَلًا تُدْرِكْ بِهِ أَمَلًا، **قَالَ الْمُصَنِّفْ** رحمه الله: وَقَدِ اتَّفَقَ لِيْ نَظْمٌ فِيْ هَذَا الْمَعْنَى:

مَنْ شَاءَ أَنْ يَحْتَوِيَ آمَالَهُ جُمَلًا فَلْيَتَّخِذْ لَيْلَهُ فِيْ دَرْكِهَا جَمَلًا

أَقْلِلْ طَعَامَكَ كَيْ تَحْظَى بِهِ ثَمَرًا إِنْ شِئْتَ يَا صَاحِبِيْ أَنْ تَبْلُغَ **الْكَمَلَا**

وقيل: مَنْ أَسْهَرَ نَفْسَهُ بِاللَّيْلِ، فَقَدْ فَرِحَ قَلْبُهُ بِالنَّهَارِ، وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ . . . .

كيف يكون: أي يكون اكتساب العلم بدون مشقة مع أنه أعظم شأنا وأصعب منالا من المال. **ولم أر في إلخ**: أي أن أعظم عيوب القادرين هو تقصيرهم عن بلوغ الغاية فيما يقدرون عليه، بسبب الإهمال والتفريط والكسل. **علو الكعب**: يعني ارتفاع الشأن.
قال المصنف: يريد نفسه. **الكملا**: الكمل - بفتح الكاف والميم-: الكامل، ويريد به الكمال.

مِنَ الْمُوَاظَبَةِ عَلَى الدَّرْسِ وَالتَّكْرَارِ فِيْ أَوَّلِ اللَّيْلِ وَآخِرِهِ؛ فَإِن مَا بَيْنَ العِشَاءَيْنِ وَوَقْتِ السَّحَرِ وَقْتٌ مُبَارَكٌ، قِيْلَ فِي الْمَعْنَى شعر:

يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بَاشِرِ الْوَرَعَا   وَجَنِّبِ النَّوْمَ وَاتْرُكِ الشَّبَعَا
دَاوِمْ عَلَى الدَّرْسِ لَا تُفَارِقْهُ   فَالْعِلْمُ بِالدَّرْسِ قَامَ وَارْتَفَعَا

فَيَغْتَنِمُ أَيَّامَ الْحَدَاثَةِ **وَعُنْفُوَانِ الشَّبَابِ**، كَمَا قِيلَ:

بِقَدْرِ الْكَدِّ تُعْطَى مَا تَرُوْمُ   فَمَنْ رَامَ الْمُنَى لَيْلًا يَقُوْمُ
وَأَيَّامَ الْحَدَاثَةِ فَاغْتَنِمْهَا   أَلَا إِنَّ الْحَدَاثَةَ لَاتَدُوْمُ

وَلَا يُجْهِدُ نَفْسَهُ جُهْدًا، وَلَا يُضْعِفُ النَّفْسَ حَتَّى يَنْقَطِعَ عَنِ الْعَمَلِ، بَلْ يَسْتَعْمِلُ الرِّفْقَ فِيْ ذَلِكَ، وَالرِّفْقُ أَصْلٌ عَظِيْمٌ فِيْ جَمِيْعِ الْأَشْيَاءِ، قَالَ عليه السلام: أَلَا إِنَّ هَذَا الدِّيْنَ مَتِيْنٌ، **فَأَوْغِلُوْا** فِيْهِ بِرِفْقٍ، وَلَا **تُبَغِّضْ** عَلَى نَفْسِكَ عِبَادَةَ اللهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ **الْمُنْبَتَّ** لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى، وَقَالَ عليه السلام: نَفْسكَ مَطِيَّتُكَ فَارْفُقْ بِهَا.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْهِمَّةِ الْعَالِيَةِ فِي الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَطِيْرُ بِهِمَّتِهِ كَالطَّيْرِ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْهِ، قَالَ أَبُو الطَّيِّب:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي **الْعَزَائِمُ**   وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وعنفوان الشباب: قوته وحدته. **فأوغلوا:** اذهبوا فيه وتعمقوا. **تبغض:** تثقل وتصعب. **المنبت:** المنقطع عن السفر لإجهاده مطيته حتى نفقت. **العزائم:** جمع عزيمة، وهي الإرادة والتصميم، والمعنى أن العزائم والمكارم تكون بحسب أقدار فاعليها، فإذا كانت أقدار فاعليها عظيمة، كانت هي عظيمة أيضا، وإذا كانت أقدارهم صغيرة كانت عزائمهم ومكارمهم صغيرة أيضا؛ لأن ضعيف الهمة صغير النفس يرى الأمور الصغيرة كبيرة عظيمة، أما عالي الهمة كبير النفس؛ فإنه يرى الأمور صغيرة وصعابها سهلة هينة.

وَتَعْظُمُ فِيْ عَيْنِ الصَّغِيْرِ صِغَارُهَا وَتَصْغُرُ فِيْ عَيْنِ الْعَظِيْمِ الْعَظَائِمُ

وَالرَّأْسُ فِيْ تَحْصِيْلِ الْأَشْيَاءِ الْجِدُّ وَالْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ حِفْظَ جَمِيْعِ كُتُبِ محمد بن الحَسن رحمه الله، وَاقْتَرَنَ بِذَلِكَ الْجِدُّ وَالْمُوَاظَبَةُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَحْفَظُ أَكْثَرَهَا أَوْ نِصفها، فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ جِدٌّ، أَوْ كَانَ لَهُ جِدٌّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ، فَلَا يَحْصُلُ لَهُ عِلْمٌ إِلَّا الْقَلِيْلُ.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ الأَجَلُّ الإِمَامُ الْأُسْتَاذُ رَضِيُّ الدِّيْنِ النَّيْسَابُورِي رحمه الله فِيْ كِتَابِ "مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ" أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُسافِرَ؛ لِيَسْتَوْلِيَ عَلَى الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، شَاوَرَ الْحُكَمَاءَ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ: كَيْفَ أُسَافِرُ لِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ الْمُلْكِ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَلِيْلَةٌ فَانِيَةٌ، وَمُلْكُ الدُّنْيَا أَمْرٌ حَقِيْرٌ، فَلَيْسَ هَذَا مِنْ عُلُوِّ الْهِمَّةِ، فَقَالَ الْحُكَمَاءُ: سَافِرْ؛ لِيَحْصُلَ لَكَ مُلْكُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، قَالَ: هَذَا أَحْسَنُ، وَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِي الْأُمُوْرِ وَيَكْرَهُ **سَفْسَافَهَا**، وَقِيْلَ:

فَلَا تَعْجَلْ بِأَمْرِكَ وَاسْتَدِمْهُ فَمَا **صَلَّى عَصَاكَ** كَمُسْتَدِيْمِ

قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله لِأَبِيْ يُوْسُفَ رحمه الله: كُنْتَ بَلِيْدًا فَأَخْرَجَتْكَ الْمُوَاظَبَةُ، وَإِيَّاكَ وَالْكَسَلَ؛ فَإِنَّهُ شُؤْمٌ آفَةٌ عَظِيْمَةٌ، قَالَ الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبو نَصْرِ الصَّفَّارُ الأَنْصَارِيُّ رحمه الله:

يَا نَفْسِ يَا نَفْسِ لَا تُرْخِيْ عَنِ فِي الْبِرِّ وَالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ فِي مَهَلِ

لَكُلِّ ذِيْ عَمَلٍ فِي الْخَيْرِ مُغْتَبِطٌ وَفِي بَلَاءٍ وَشُؤْمٍ كُلُّ ذِي كَسَلِ

قال الْمُصَنِّفُ رحمه الله: وقد اتَّفَقَ لِيْ فِيْ هذا المَعْنَى:

الرأس: يعني الأصل والأساس. سفسافها: الرديء الحقير. صلى عصاك: أي لينها بالنار؛ ليسهل تقويمها، والمعنى أن خير وسائل تقويم المعوج وإصلاح الفاسد الاستدامة والاستمرار.

دَعِيْ نَفْسِيْ التَّكَاسُلَ وَالتَّوَانِيْ ... وَإِلَّا فَاثْبُتِي فِيْ **ذَا الْهَوَانِ**
فَلَمْ أَرَ لِلْكَسَالَى الْحَظَّ يُعْطَى ... سِوَى نَدَمٍ وَحِرْمَان الأَمَانِ

وقيل:

كَمْ مِنْ حَيَاءٍ وَكَمْ عَجْزٍ وَكَمْ ... جَمٍّ تَوَلَّدَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ كَسَلِ
إِيَّاكَ عَنْ كَسَلٍ فِي الْبَحْثِ عَنْ ... فَمَا عَلِمْتَ وَمَا قَدْ **شَذَّ عَنْكَ** سَلِ

وَقَدْ قِيْلَ: الْكَسَلُ مِنْ قِلَّةِ التَّأَمُّلِ فِيْ مَنَاقِبِ الْعِلْمِ وَفَضَائِلِه، فَيَنْبَغِيْ لِلْمُتَعَلِّمْ أَنْ يَبْعَثَ نَفْسَهُ عَلَى التَّحْصِيْلِ وَالْجِدِّ وَالْمُوَاظَبَةِ بِالتَّأَمُّلِ فِيْ فَضَائِلِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى بِبَقَاءِ الْمَعْلُوْمَاتِ، وَالْمَالُ يَفْنَى، كَمَا قَالَ أَمِيْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ:

رَضِيْنَا قِسْمَةَ الْجَبَّار فِيْنَا ... لَنَا عِلْمٌ وَلِلْأَعْدَاءِ مَالُ
فَإِنَّ الْمَالَ يَفْنَى عَنْ قَرِيْبٍ ... وَإِنَّ الْعِلْمَ يَبْقَى لَا يَزَالُ

وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَحْصُلُ بِهِ حُسْنُ الذِّكْرِ، وَيَبْقَى ذَلِكَ بَعْدَ وَفَاتِهِ؛ فَإِنَّهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ ظَهِيْرُ الدِّيْنِ مُفْتِي الأَئِمَّةِ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوْفُ بِالْمَرْغِيْنَانِي رحمه الله:

ذا الهوان: أي هذا الهوان. **كم من حياء إلخ:** المراد بالحياء هنا الخجل، يعني أن الكسل كثيرا ما خجل الإنسان بسببه، ووقف عاجزا نادما. **إياك عن كسل:** ابتعد عن الكسل. **شذ عنك:** بعد عنك وصعب عليك، أي لا تتوان ولا تفرط في البحث والتنقيب حتى تعثر على ما يزيل ما عندك من شبه وشكوك، فالذي استطعت أن تعلمه بنفسك اكتفيت به، والذي صعب عليك الاهتداء إلى الصواب فيه، فاسأل عنه أهل العلم به.

الْجَاهِلُوْنَ **فَمَوْتَى** قَبْلَ مَوْتِهِمْ وَالْعَالِمُوْنَ وَإِنْ مَاتُوْا فَأَحْيَاءُ

وَأَنْشَدَنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله:

وَفِي الْجَهْلِ قَبْلَ الْمَوْتِ مَوْتٌ لِأَهْلِهِ فَأَجْسَامُهُمْ قَبْلَ الْقُبُوْرِ قُبُوْرُ

وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يَحْيَى بِالْعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَيْسَ لَهُ حِيْنَ **النُّشُوْرِ** نُشُوْرُ

وقال غيره:

أَخُو الْعِلْمِ حَيٌّ خَالِدٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَأَوْصَالُهُ تَحْتَ التُّرَابِ **رَمِيْمُ**

وَذُو الْجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ يَمْشِيْ عَلَى **الثَّرَى** يُظَنُّ مِنَ الْأَحْيَاءِ وَهْوَ عَدِيْمُ

وقال آخر:

حَيَاةُ الْقَلْبِ عِلْمٌ فَاغْتَنِمْهُ وَمَوْتُ الْقَلْبِ جَهْلٌ فَاجْتَنِبْهُ

وَأَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الأُسْتَاذُ شَيْخُ الإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله:

ذَا الْعِلْمِ أَعْلَى رُتْبَةً فِي الْمَرَاتِبِ وَمِنْ دُوْنِهِ عِزُّ الْعُلَى فِي **الْمَوَاكِبِ**

فَذُو الْعِلْمِ يَبْقَى عِزُّهُ مُتَضَاعِفًا وَذُو الْجَهْلِ بَعْدَ الْمَوْتِ تَحْتَ **التَّيَارِبِ**

فموتى: موتى: جمع ميت، والفاء على تقدير "أما" في الكلام، أي أما الجاهلون فهم موتى.
نشور: النشور: البعث، يقال: يوم النشور أي يوم البعث. **رميم:** بالية وفانية.
الثرى: التراب الندى، والمقصود به هنا الأرض. **المواكب:** جمع موكب، وهو الجماعة السائرة ركبانا أو مشاة، والمقصود مطلق الجماعة، يعني أن هذا العلم منزلته أعلى المنازل وأشرفها، وكل المعالي والرياسات في الجماعات دونه في الشرف والرفعة.
التيارب: جمع تيرب وهو التراب، يعني أن المتعلم لا يزول عزه ومجده بعد وفاته، بل يبقى كاملا غير منقوص، وقد يتضاعف بما يناله في الآخرة من سعادة ونعيم، أما الجاهل فإن عزه يزول بعد دفنه تحت التراب.

فَهَيْهَاتَ لَا يَرْجُوْ **مَدَاهُ** مَنِ ارْتَقَى رُقِّيَ وَلِيِّ الْمُلْكِ وَالِي الْكَتَائِبِ
سَأُمْلِيْ عَلَيْكُمْ بَعْضَ مَا فِيْهِ فَاسْمَعُوْا فَبِيْ **حَصَرٌ** عَنْ ذِكْرِ كُلِّ **الْمَنَاقِبِ**
هُوَ النُّوْرُ كُلُّ النُّوْرِ يَهْدِيْ عَنِ الْعَمَى وَذُو الْجَهْلِ **مَرَّ الدَّهْرِ** بَيْنَ **الْغَيَاهِبِ**
هُوَ **الذِّرْوَةُ الشَّمَّاءُ** تَحمِي مَن الْتَجَأَ إِلَيْهَا وَيَمْشِي آمِنًا فِي النَّوَائِبِ
بِهِ **يَنْتَجِيْ** وَالنَّاسُ فِيْ غَفَلَاتِهِمْ بِهِ يَرْتَجِيْ وَالرُّوْحُ بَيْنَ **التَّرَائِبِ**
بِهِ **يَشْفَعُ الْإِنْسَانُ** مَنْ رَاحَ عَاصِيًا إِلَى دَرَكِ النِّيْرَانِ **شَرِّ** الْعَوَاقِبِ
فَمَنْ **رَامَهُ** رَامَ الْمَآرِبَ كُلَّهَا وَمَنْ حَازَهُ قَدْ حَازَ كُلَّ الْمَطَالِبِ
هُوَ **الْمَنْصَبُ** الْعَالِيْ فَيَا صَاحِبَ الحِجَا إِذَا نِلْتَهُ **هَوِّنْ بِفَوْتِ** الْمَنَاصِبِ

مداه: غايته، والي: حاكم، الكتائب: جمع كتيبة، وهي الفرقة العظيمة من الجنود، يعني أن الملوك والسلاطين أصحاب الجنود العديدة والجيوش الكبيرة، لا يبلغون من العز والمجد مبلغ العلماء والحكماء. **حصر:** - بفتح الحاء والصاد -: عجز وعي. **المناقب:** جمع منقبة: المفخرة والفضيلة. **مر الدهر:** مدى الدهر. **الغياهب:** جمع غيهب، الظلام الشديد.

الذروة: ذروة كل شيء: أعلاه، فذروة الجبل: قمته. **الشماء:** المرتفعة العالية، أي أن العلم ينجي صاحبه من المهالك، ويحميه من المعاطب كما تحمي الذروة العالية من التجأ إليها، وتنجي من اعتصم بها. **ينتجي:** يطلب النجاة. **الترائب:** عظام الصدر، يعني أن العلم ينجي من الضلال في الحياة الدنيا ومن العذاب في الآخرة، ويرجو المرء حين تحضره الوفاة أن يغفر الله له ذنوبه. **يشفع الإنسان:** أي يضم العالم بعض حسناته إلى حسنات من مات عاصيا، فترجح حسناته على سيئاته، فيغفرله الله ويعفو عنه. والدرك: جمع دركة، وهي المنزلة، فهي في الهبوط تقابل الدرجة في الصعود. **شر:** بالجر صفة للنيران. العواقب: جمع عاقبة، وهي النهاية. **رامه:** طلبه. والمآرب: جمع مأرب: الغرض والمطلب.

المنصب: - بفتح الميم والصاد - المقام. الحجا: العقل. **هون بفوت إلخ:** اعتبر فوات المناصب الأخرى وضياعها والحرمان منها أمرا هينا لا يؤبه له ولا يهتم به.

فَإِنْ فَاتَكَ الدُّنْيَا وَطِيْبُ نَعِيْمِهَا ... فَغَمِّضْ فَإِنَّ الْعِلْمَ خَيْرُ الْمَوَاهِبِ

وَأُنْشِدْتُ لِبَعْضِهِمْ:

إِذَا مَا اعْتَزَّ ذُوْ عِلْمٍ بِعِلْمٍ ... فَعِلْمُ الْفِقْهِ أَوْلَى بِاعْتِزَازِ

فَكَمْ طِيْبٍ **يَفُوْحُ** وَلَا كَمِسْكٍ ... وَكَمْ طَيْرٍ يَطِيْرُ وَلَا كَبَازِيْ

وَأُنْشِدْتُ أَيْضًا:

الْفِقْهُ أَنْفَسُ شَيْءٍ أَنْتَ دَاخِرُهُ ... مَنْ يَدْرُسُ الْعِلْمَ لَمْ تَدْرُسْ مَفَاخِرَهُ

فَاكْسِبْ لِنَفْسِكَ مَا أَصْبَحْتَ تَجْهَلُهُ ... فَأَوَّلُ الْعِلْمِ إِقْبَالٌ وَآخِرُهُ

وَكَفَى بِلَذَّةِ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ دَاعِيًا وَبَاعِثًا لِلْعَاقِلِ عَلَى تَحْصِيْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ يَتَوَلَّدُ الْكَسَلُ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغَمِ وَالرُّطُوْبَاتِ، وَطَرِيْقُ تَقْلِيْلِهِ تَقْلِيْلُ الطَّعَامِ، قِيْلَ: اتَّفَقَ سَبْعُوْنَ نَبِيًّا عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ السَّلَامُ عَلَى أَنَّ أَكْثَرَ النِّسْيَانِ مِنْ كَثْرَةِ الْبَلْغَمِ، وَكَثْرَةَ الْبَلْغَمِ مِنْ كَثْرَةِ شُرْبِ الْمَاءِ، وَكَثْرَةُ شُرْبِ الْمَاءِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَالْخُبْزُ الْيَابِسُ يَقْطَعُ الْبَلْغَمَ، وَكَذَلِكَ أَكْلُ الزَّبِيْبِ عَلَى الرِّيق، وَلَا يُكْثِرُ مِنْهُ حَتَّى لَايَحْتَاجَ إِلَى شُرْبِ الْمَاءِ،

يفوح إلخ: يفوح: ينتشر، والبيت يتضمن مثلين سائرين يضرب كل منهما لبيان فضل الشيء، وغيره أفضل منه:

فكم طيب يفوح ولا كمسك

أي أن الطيب الذي تنتشر رائحته وتعطر الجو كثير، ولكنه في طيب رائحته وجمال شذاه ليس كالمسك؛ لأن المسك أطيب منه وأزكى، وكذلك:

وكم طير يطير ولا كبازي

معناه أن البازي أقوى الطيور كلها وأشدها طيرانا.

الفقه إلخ: المراد بالفقه في هذا البيت العلم مطلقا. وداخره: أي مدخره ومقتصده. من يدرس العلم: أي يقرأه، ولم تدرس مفاخره، أي لم تنمح أسباب فخره ودواعي مجده.

فَيَزِيْدُ الْبَلْغَمَ، وَالسِّوَاكُ يُقَلِّلُ الْبَلْغَمَ، وَيَزِيْدُ فِي الْحِفْظِ وَالْفَصَاحَةِ؛ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ سَنِيَّةٌ، وَيَزِيْدُ فِيْ ثَوَابِ الصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَكَذٰلِكَ الْقَيْءُ يُقَلِّلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوْبَاتِ، وَطَرِيْقُ تَقْلِيْلِ الْأَكْلِ التَّأَمُّلِ فِيْ مَنَافِعِ قِلَّةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ الصِّحَّةُ وَالْعِفَّةُ وَ**الْإِيْثَارُ**. وَقَدْ قِيْلَ:

شَقَاءُ الْمَرْءِ **مِنْ أَجْلِ الطَّعَامِ** فَعَارٌ ثُمَّ عَارٌ ثُمَّ عَارٌ

وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُبْغِضُهُمُ اللهُ تَعَالَى مِنْ غَيْرِ **جُرْمٍ**: الْأَكُوْلُ وَالْبَخِيْلُ وَالْمُتَكَبِّرُ، وَ**التَّأَمُّلُ** فِيْ مَضَارِّ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، وَهِيَ الْأَمْرَاضُ وَكَلَالَةُ الطَّبْعِ، قِيْلَ: **الْبِطْنَةُ** تُذْهِبُ الْفِطْنَةَ.

(حكي) عَنْ جَالِيْنُوسْ أَنَّهُ قَالَ: الرُّمَّانُ نَفْعٌ كُلُّهُ، وَالسَّمَكُ ضَرَرٌ كُلُّهُ، وَقَلِيْلُ السَّمَكِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيْرِ الرُّمَّانِ، وَفِيْهِ أَيْضًا إِتْلَافُ الْمَالِ، وَالْأَكْلُ فَوْقَ الشَّبْعِ ضَرَرٌ مَحْضٌ، وَيُسْتَحَقُّ بِهِ الْعِقَابُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَالْأَكُوْلُ بَغِيْضٌ فِي الْقُلُوْبِ، وَطَرِيْقُ تَقْلِيْلِ الْأَكْلِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَطْعِمَةَ الدَّسِمَةَ، وَيُقَدِّمُ فِي الْأَكْلِ الْأَلْطَفَ وَالْأَشْهَى، وَلَا يَأْكُلُ مَعَ الْجِيَاعِ إِلَّا إِذَا كَانَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيْحٌ فِيْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، بِأَنْ يَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، فَلَهُ ذٰلِكَ.

الإيثار: هو اختيار منفعة الغير ومصلحته عند تعارضها مع منفعة النفس ومصلحتها، كما إذا كان اثنان في حالة عطش، ومع أحدهما ما يكفيه وحده من الماء، فيقدمه لرفيقه ويحرم منه نفسه.
من أجل الطعام: أي أن الطعام وحده لا يستحق أن يشقي الإنسان نفسه من أجله؛ لأن القليل منه يكفي، والذي يستحق أن يشقي الإنسان نفسه من أجله إنما هو العلم؛ لأنه السبيل الوحيد إلى المجد والشرف. **جرم**: إثم وذنب. **والتأمل**: بالرفع؛ لأنه معطوف على التأمل في منافع قلة الأكل.
البطنة: - بكسر الباء - امتلاء البطن بالأكل، والفطنة: - بكسر الفاء - الذكاء والتيقظ.

فصل في بداية السبق وقدره وترتيبه

كَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله **يَقِفُ** بَدَاءَةَ السَّبَقِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبعَاءِ، وَكَانَ يَرْوِيْ فِيْ ذَلِكَ حَدِيْثًا، وَيَسْتَدِلُّ بِهِ، وَيَقُوْلُ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: مَا مِنْ شَيْءٍ بُدِئَ فِيْ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ إِلَّا وَقَدْ تَمَّ، وَهَكَذَا كَانَ يَفْعَلُ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله، وَكَانَ يَرْوِيْ هَذَا الْحَدِيْثَ عَنْ أُسْتَاذِهِ الشَّيْخِ الإِمَامِ الْأَجَلِّ قِوَامِ الدِّيْنِ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الرَّشِيْدِ رحمه الله، وَسَمِعْتُ مِمَّنْ أَثِقُ بِهِ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا يُوْسُفَ الْهَمَدَانِيَّ رحمه الله كَانَ يَقِفُ كُلَّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الْخَيْرِ عَلَى يَوْمِ الْأَرْبعَاءِ، وَهَذَا لِأَنَّ يَوْمَ الْأَرْبعَاءِ يَوْمٌ خُلِقَ فِيْهِ النُّوْرُ، وَهُوَ يَوْمُ نَحْسٍ **فِيْ حَقِّ الْكُفَّارِ**، فَيَكُوْنُ مُبَارَكًا لِلْمُؤْمِنِيْنَ.

وَأَمَّا قَدْر السَّبَقِ فِي الْاِبْتِدَاءِ، فَقَدْ كَانَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله يَحْكِيْ عَنِ الشَّيْخِ الْقَاضِيْ الإِمَام عُمَرِ بْنِ الإِمَامِ أَبِيْ بَكْرٍ الزَّرْنُجِيْ رحمه الله أَنَّهُ قَالَ: قَالَ مَشَايِخُنَا رحمهم الله: يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ قَدْرُ السَّبْقِ لِلْمُبْتَدِئ قَدْرَ مَا يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ بِالرِّفْقِ، وَيَزِيْدُ كُلَّ يَوْمٍ كَلِمَةً حَتَّى إِنَّهُ وَإِنْ طَالَ وَكَثُرَ، يُمْكِنُ ضَبْطُهُ بِالْإِعَادَةِ مَرَّتَيْنِ، وَيَزِيْدُ بِالرِّفْقِ وَالتَّدْرِيْجِ، فَأَمَّا إِذَا طَالَ السَّبَقُ فِي **الْاِبْتِدَاءِ**، وَاحْتَاجَ إِلَى الإِعَادَةِ عَشْرَ مَرَّاتٍ، فَهُوَ فِي الْاِنْتِهَاءِ أَيْضًا يَكُوْنُ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَعْتَادُ ذَلِكَ، . . . .

يقف: يحصر ويقصر. **في حق الكفار إلخ:** الحق أن الأيام كلها تستوي عند الله، وأن التفاؤل أو التشاؤم ببعض الأيام أو الساعات ليس من الدين في شيء.

الابتداء: فأما إذا طال السبق في الابتداء، يعني أن طول الاستماع لا ينبغي أن يزيد على أن يعاد البيان والشرح مرتين في الموضوع الواحد، أما إذا زاد عن ذلك؛ فإنه يعتاد طول الاستماع وتكرار الشرح، فيبطؤ فهمه ويتبلد عقله.

وَلَا يَتْرُكُ تِلْكَ العَادَةَ إِلَّا بِجُهْدٍ كَثِيرٍ، وَقَدْ قِيلَ: **السَّبَقُ حَرْفٌ** وَالتَّكْرَارُ أَلْفٌ وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَبْتَدِئَ بِشَيْءٍ يَكُوْنُ أَقْرَبَ إِلَى فَهْمِهِ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْأُسْتَاذُ شَرْفُ الدِّيْنِ الْعَقِيْلِيُّ رحمه الله يَقُوْلُ: الصَّوَابُ عِنْدِيْ فِيْ هَذَا مَا فَعَلَهُ مَشَايِخُنَا رحمهم الله؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوْا يَخْتَارُوْنَ لِلْمُبْتَدِئِ **صِغَارَاتِ الْمَبْسُوْطِ**؛ لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَى الْفَهْمِ وَالضَّبْطِ، وَأَبْعَدُ عَنِ الْمَلَالَةِ، وَأَكْثَرُ وُقُوْعًا بَيْنَ النَّاسِ.

وَيَنْبَغِيْ أَنْ **يُعَلِّقَ السَّبَقَ** بَعْدَ الضَّبْطِ وَالْإِعَادَةِ كَثِيْرًا؛ فَإِنَّهُ نَافِعٌ جِدًّا، وَلَا يَكْتُبُ الْمُتَعَلِّمُ شَيْئًا لَا يَفْهَمُهُ؛ فَإِنَّهُ يُوْرِثُ كَلَالَةَ الطَّبْعِ، وَيُذْهِبُ الْفِطْنَةَ وَيُضَيِّعُ أَوْقَاتَهُ.

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَجْتَهِدَ فِيْ الْفَهْمِ عَنِ الْأُسْتَاذِ، أَوْ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ وَكَثْرَةِ التَّكْرَارِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَلَّ السَّبَقُ وَكَثُرَ التَّكْرَارُ وَالتَّأَمُّلُ يُدْرَكُ وَيُفْهَمُ، فَقَدْ قِيلَ: حِفْظُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ سَمَاعِ **وِقْرَيْنِ**، وَفَهْمُ حَرْفَيْنِ خَيْرٌ مِنْ حِفْظِ وِقْرَيْنِ، وَإِذَا تَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ وَلَمْ يَجْتَهِدْ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ يَعْتَادُ ذَلِكَ، فَلَا يَفْهَمُ الْكَلَامَ الْيَسِيْرَ، فَيَنْبَغِيْ أَلَّا يَتَهَاوَنَ فِي الْفَهْمِ، بَلْ يَجْتَهِدُ وَيَدْعُو اللهَ تَعَالَى وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ يُجِيْبُ مَنْ دَعَاهُ، وَلَا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاهُ.

أَنْشَدَنَا الشَّيْخُ الإِمَامُ الأَجَلُّ قَوَامُ الدِّيْنِ حَمَّادُ بْنُ إِبْرَاهِيْمَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ الصفار رحمه الله إِمْلَاءً لِلْقَاضِيْ الْخَلِيْلِ بْنِ أَحْمَدَ **السَّجْزرِي** فِي ذَلِكَ:

السبق حرف إلخ: أي تعلم قليلا وكرر ما تعلمته كثيرا، وهذا مثل قولهم: قراءة كتاب واحد مرتين أنفع من قراءة كتابين مرة واحدة. صغارات المبسوط: يعني الكتب الصغيرة التي تتضمن خلاصات الكتب المطولة.

يعلق السبق: تعليق السبق كتابة خلاصة الدرس، وهو ما يسمى الآن "بالملخص السبوري".
وِقْرين: مثنى وقر - بكسر الواو - الحمل الثقيل. السجزري: في بعض النسخ السرخسي.

اخْدُمِ الْعِلْمَ خِدْمَةَ الْمُسْتَفِيْدِ وَأَدِمْ دَرْسَهُ بِعَقْلٍ حَمِيْدِ
وَإِذَا مَا حَفِظْتَ شَيْئًا أَعِدْهُ ثُمَّ أَكِّدْهُ غَايَةَ التَّأْكِيْدِ
ثُمَّ عَلِّقْهُ كَيْ تَعُوْدُ إِلَيْهِ وَ إِلَى دَرْسِهِ عَلَى التَّأْبِيْدِ
وَإِذَا مَا أَمِنْتَ مِنْهُ فَوَاتًا **فَانْتَدِبْ** بَعْدَهُ لِشَيْءٍ جَدِيْدِ
مَعَ تَكْرَارِ مَا تَقَدَّمَ مِنْهُ اعْتِنَاءً بِشَأْنِ هَذَا الْمَزِيْدِ
ذَاكِرِ النَّاسَ بِالْعُلُوْمِ لِتَحْيَا لَا تَكُنْ مِنْ أُولِى النُّهَى بِبَعِيْدِ
إِنْ كَتَمْتَ الْعُلُوْمَ أُنْسِيْتَ حَتَّى لَا تَرَى غَيْرَ جَاهِلٍ وَبَلِيْدِ
ثُمَّ أُلْجِمْتَ فِي الْقِيَامَةِ نَارًا وَتَلَهَّبْتَ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيْدِ

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُذَاكَرَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ وَالْمُطَارَحَةِ، فَيَنْبَغِيْ أَن يَكُوْنَ بِالْإِنْصَافِ وَالتَّأَنِّيْ وَالتَّأَمُّلِ، وَيَتَحَرَّزُ عَنِ الشَّغَبِ وَالْغَضَبِ؛ فَإِنَّ الْمُنَاظَرَةَ وَالْمُذَاكَرَةَ مُشَاوَرَةٌ، وَالْمُشَاوَرَةُ إِنَّمَا تَكُوْنُ لِاسْتِخْرَاجِ الصَّوَابِ، وَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالتَّأَمُّلِ وَالتَّأَنِّيْ وَالإِنْصَافِ، وَلَا يَحْصُلُ بِالْغَضَبِ وَالشَّغَبِ، فَإِنْ كَانَتْ نِيَّتُهُ إِلْزَامُ الْخَصْمِ فَلَا تَحِلُّ الْمُنَاظَرَةُ، وَإِنَّمَا تَحِلُّ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ، وَالتَّمْوِيهُ وَالْحِيْلَةُ فِيْهَا لَا تَجُوْزُ، إِلَّا إِذَا كَانَ الْخَصْمُ مُتَعَنِّتًا لَا طَالِبًا لِلْحَقِّ.

وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى رحمه الله إِذَا تَوَجَّهَ عَلَيْهِ الإِشْكَالُ، وَلَمْ يَحْضُرْهُ الْجَوَابُ،

فانتدب: سارع أي كلما توثقت من فهم شيء وحفظه، وأمنت من نسيانه، بادر إلى تعلم غيره. **ثم ألجمت إلخ:** في هذين البيتين إشارة إلى قوله ﷺ: من علم علما فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار، وقال ﷺ: ما آتى الله أحدا علما إلا أخذ عليه الميثاق ألا يكتمه أحدا.

يَقُوْلُ: مَا أَلْزَمْتَهُ لَازِمٌ، وَأَنَا فِيْهِ نَاظِرٌ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِيْ عِلْمٍ عَلِيْمٌ، وَفَائِدَةُ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُنَاظَرَةِ أَقْوَى مِنْ فَائِدَةِ مُجَرَّدِ التَّكْرَارِ؛ لِأَنَّ فِيْهَا تَكْرَارًا وَزِيَادَةً، فَقَدْ قِيْلَ: مُطَارَحَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ تَكْرَارِ شَهْرٍ، وَلَكِنْ إِذَا كَانَ مَعَ مُنْصِفٍ سَلِيْمِ الطَّبِيْعَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْمُذَاكَرَةَ مَعَ مُتَعَنِّتٍ غَيْرِ مُسْتَقِيْمِ الطَّبْعِ؛ فَإِنَّ الطَّبِيْعَةَ مُتَسَرِّيَةٌ، وَالْأَخْلَاقُ مُتَعَدِّيَةٌ، وَالْمُجَاوَرَةُ مُؤَثِّرَةٌ، وَفِي الشِّعْرِ الَّذِيْ ذَكَرَهُ الْخَلِيْلُ بْنُ أَحْمَدَ رحمه الله فَوَائِدُ كَثِيْرَةٌ، وَقَدْ قِيْلَ:

الْعِلْمُ مِنْ شَرْطِهِ لِمَنْ خَدَمَهْ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ كُلَّهُمْ خَدَمَهْ

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُوْنَ مُتَأَمِّلًا فِيْ جَمِيْعِ الْأَوْقَاتِ فِيْ **دَقَائِقِ** الْعُلُوْمِ وَيَعْتَادُ ذَلِكَ؛ فَإِنَّمَا تُدْرَكُ الدَّقَائِقُ بِالتَّأَمُّلِ، وَلِهَذَا قِيْلَ: تَأَمَّلْ تُدْرِكْ، وَلَا بُدَّ مِنَ التَّأَمُّلِ قَبْلَ الْكَلَامِ حَتَّى يَكُوْنَ صَوَابًا؛ فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالسَّهْمِ، فَلَا بُدَّ مِنْ **تَقْوِيْمِهِ** بِالتَّأَمُّلِ قَبْلَ الرَّمْيِ حَتَّى يَكُوْنَ مُصِيْبًا، قَالَ فِيْ أُصُوْلِ الْفِقْهِ: هَذَا أَصْلٌ كَبِيْرٌ؛ وَهُوَأَنْ يَكُوْنَ كَلَامُ الْفَقِيْهِ الْمُنَاظِرِ بِالتَّأَمُّلِ، وَقِيْلَ: رَأْسُ الْعَقْلِ أَنْ يَكُوْنَ الْكَلَامُ بِالتَّثَبُّتِ وَالتَّأَمُّلِ، قَالَ الْقَائِلُ:

أَوْصِيْكَ فِيْ نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنْ كُنْتَ لِلْمُوْصِي الشَّفِيْقِ مُطِيْعًا

لَا تُغْفِلَنْ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ **وَالْكَيْفَ وَالْكَمّ** وَالْمَكَانَ جَمِيْعًا

دقائق: جمع دقيقة: المسألة الصعبة. **تقويمه**: تسديده وتصويبه نحو الهدف. **الكيف**: أي طريقه إلقاء الكلام من خفض الصوت ورفعه، ومن هدوء ولطف أو شدة وعنف. **والكم**: المقدار من إيجاز أو إسهاب حسب مقتضى الحال.

وَيَكُوْنَ مُسْتَفِيْدًا فِي جَمِيْعِ الْأَحْوَالِ، وَالْأَوْقَاتِ مِنْ جَمِيْعِ الْأَشْخَاصِ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، أَيْنَمَا وَجَدَهَا أَخَذَهَا، وَقِيْلَ: خُذْ مَا صَفَا وَدَعْ مَا كَدُرَ.

وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الإِمَامَ الأُسْتَاذَ فَخْرُ الدِّيْنِ الكَاشَانِيْ رحمه الله يَقُوْلُ: كَانَتْ جَارِيَةُ أَبِيْ يُوْسُفَ رحمه الله أَمَانَةً عِنْدَ مُحَمَّد رحمه الله، فَقَالَ لَهَا مُحَمَّد رحمه الله: هَلْ تَحْفَظِيْنَ فِيْ هَــذَا الْوَقْتِ مِنْ أَبِيْ يُوْسُفَ رحمه الله فِي الْفِقْهِ شَيْئًا؟ فَقَالَتْ: لَا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُكَرِّرُ، وَيَقُوْلُ: **سَهْمُ الدَّوْرِ سَاقِطٌ**، فَحَفِظَ ذَلِكَ مِنْهَا، وَكَانَتِ الْمَسْأَلَةُ مُشْكِلَةٌ عَلَى مُحَمَّدٍ رحمه الله، فَارْتَفَعَ إِشْكَالُهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَعَلِمَ أَنَّ الْإِسْتِفَادَةَ مُمْكِنَةٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَلِهَذَا قَالَ أَبُوْ يُوْسُفَ رحمه الله حِيْنَ قِيْلَ لَهُ: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: مَا اسْتَنْكَفْتُ مِنَ الاِسْتِفَادَةِ وَمَا بَخِلْتُ بِالإِفَادَةِ، قِيْلَ لِابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِلِسَانٍ سَؤُول، وَقَلْبٍ عَقُوْلٍ.

وَإِنَّمَا سُمِّيَ طَالِبُ الْعِلْمِ "مَا تَقُوْلُ"؛ لِكَثْرَةِ مَا كَانُوْا يَقُوْلُوْنَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ: مَا تَقُوْلُ فِيْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ؟، وَإِنَّمَا تَفَقَّهَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله بِكَثْرَةِ الْمُطَارَحَةِ وَالْمُذَاكَرَةِ فِيْ دُكَّانِهِ حِيْنَ كَانَ **بَزَّازًا**، وَبِهَذَا يُعْلَمُ أَنَّ تَحْصِيْلَ الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ يَجْتَمِعُ مَعَ الْكَسْبِ، وَكَانَ أَبُوْ حَفْصٍ الْكَبِيْرُ رحمه الله يَكْتَسِبُ وَيُكَرِّرُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْكَسَبِ لِنَفْقَةِ عِيَالِهِ وَغَيْرِهِمْ، فَلْيَكْتَسِبْ وَلْيُكَرِّرْ وَلْيُذَاكِرْ

سهم الدور ساقط: أي السهم الدائر يسقط ولا يحسب، وهو خاص بمسألة فقهية مشهورة في الميراث. **بزازا:** بائع الثياب والمنسوجات.

وَلَا يَكسل، وَلَيْسَ لِصَحِيْحِ الْبَدَنِ وَالْعَقْلِ عُذْرٌ فِيْ تَرْكِ التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكُوْنَ أَفْقَرَ مِنْ أَبِيْ يُوْسُفَ رحمه الله، وَلَمْ يَمْنَعْهُ ذَلِكَ مِنَ التَّفَقُّهِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيْرٌ، فَنِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ، الْمُنْصَرِفِ فِيْ طَرِيْقِ الْعِلْمِ، قِيْلَ لِعَالِمٍ: بِمَ أَدْرَكْتَ الْعِلْمَ؟ قَالَ: بِأَبٍ غَنِيٍّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ **يَصْطَنِعُ بِهِ** أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ؛ فَإِنَّهُ سَبَبُ زِيَادَةِ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ شُكْرٌ عَلَى نِعْمَةِ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ، وَهُوَ **سَبَبُ الزِّيَادَةِ**.

قَالَ أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله: إِنَّمَا أَدْرَكْتُ الْعِلْمَ بِالْحَمْدِ وَالشُّكْرِ، فَكُلَّمَا فَهِمْتُ شَيْئًا مِنَ الْعُلُوْمِ، وَوَقَفْتُ عَلَى فِقْهٍ وَحِكْمَةٍ، قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلّٰهِ تَعَالَى، فَازْدَادَ عِلْمِيْ، وَهٰكَذَا يَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِالشُّكْرِ بِاللِّسَانِ وَالْجَنَانِ وَالْأَرْكَانِ وَالْمَالِ، وَيَرَى الْفَهْمَ وَالْعِلْمَ وَالتَّوْفِيْقَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَيَطْلُبُ الْهِدَايَةَ مِنَ اللهِ تَعَالَى بِالدُّعَاءِ مِنْهُ وَالتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى هَادٍ مَن اسْتَهْدَاهُ، فَأَهْلُ الْحَقِّ - وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - طَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ اللهِ تَعَالَى، الْحَقَّ الْمُبِيْنَ الْهَادِيَ الْعَاصِمَ، فَهَدَاهُمُ اللهُ تَعَالَى وَعَصَمَهُمْ عَنِ الضَّلَالَةِ، وَأَهْلُ الضَّلَالَةِ **أُعْجِبُوْا بِرَأْيِهِمْ** وَعَقْلِهِمْ، وَطَلَبُوا الْحَقَّ مِنَ الْمَخْلُوْقِ الْعَاجِزِ، وَهُوَ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُدْرِكُ جَمِيْعَ الْأَشْيَاءِ، كَالْبَصَرِ لَا يُبْصِرُ جَمِيْعَ الْأَشْيَاءِ، فَحُجِبُوْا وَعَجَزُوْا وَضَلُّوْا وَأَضَلُّوْا، قَالَ ﷺ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ، فَإِذَا عَرَفَ عَجْزَ نَفْسِهِ عَرَفَ قُدْرَةَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَقْلِهِ، بَلْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَعَالَى،

يصطنع به: يبرهم ويحسن إليهم. **سبب الزيادة:** أي والشكر هو سبب الزيادة؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم:٧). **أعجبوا برأيهم:** فرحوا به وسروا منه.

وَيَطْلُبُ الْحَقَّ مِنْهُ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ **حَسْبُهُ**، وَيَهْدِيْهِ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ، وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيْرٌ فَلَا يَبْخَلْ.

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَتَعَوَّذَ بِاللهِ تَعَالَى مِنَ الْبُخْلِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ دَاءٍ أَدْوَأُ مِنَ الْبُخْلِ، وَكَانَ أَبُو الشَّيْخِ الإِمَامُ الْأَجَلُّ شَمْسُ الأَئِمَّةِ الْحَلْوَانِيُّ رحمه الله فَقِيْرًا، يَبِيْعُ الْحَلْوَاءَ، وَكَانَ يُعْطِي الْفُقَهَاءَ مِنَ الْحَلْوَاءِ، وَيَقُوْلُ: اُدْعُوا لابني، فَبِبَرَكَةِ جُوْدِهِ وَاعْتِقَادِهِ وَتَضَرُّعِهِ نَالَ ابْنُهُ مَا نَالَ، وَيَشْتَرِيْ بِالْمَالِ الْكُتُبَ، وَيَسْتَكْتِبُ فَيَكُوْنَ عَوْنًا عَلَى التَّعَلُّمِ وَالتَّفَقُّهِ.

وَقَدْ كَانَ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ رحمه الله مَالٌ كَثِيْرٌ، حَتَّى كَانَ لَهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ مِنَ الْوُكَلَاءِ عَلَى مَالِـــهِ، فَأَنْفَقَهُ كُلَّهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ ثَوْبٌ نَفِيْسٌ، فَرَآهُ أَبُوْ يُوْسُفَ رحمه الله فِيْ ثَوْبٍ خَلِقٍ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ ثِيَابًا نَفِيْسَةً، فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَقَالَ: عُجِّلَ لَكُمْ وَأُجِّلَ لَنَا.

وَلَعَلَّهُ إِنَّمَا لَمْ يَقْبَلْهَا وَإِنْ كَانَ قَبُوْلُ الْهَدِيَّة سُنَّةً؛ لِمَا رَأَى أَنَّ فِيْ ذَلِكَ مَذَلَّةً لِنَفْسِهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: لَيْسَ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ.

وحكي أن الشيخ فَخْرُ الإِسْلَامِ الأَرْسَابِنْدِيْ رحمه الله جَمَعَ قُشُوْرَ البِطِّيْخِ الْمُلْقَاةَ فِيْ مَكَانٍ خَالٍ، فَغَسَلَهَا وَأَكَلَهَا، فَرَأَتْهُ جَارِيَةٌ، فَأَخْبَرَتْ بِذَلِكَ مَوْلَاهَا، **فَاتَّخَذَ لَهُ دَعْوَةً** وَدَعَاهُ إِلَيْهَا، فَلَمْ يَقْبَلْ **لِهَذا**.

حسبه: كافيه، وهذا اقتباس من القرآن. **فاتخذ له دعوة:** أي أعد له طعاما.

لهذا: أي لئلا يذل نفسه.

وَهكَذَا يَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَكُوْنَ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ لَا يَطْمَعُ فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: **إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ**؛ فَإِنَّهُ فَقْرٌ حَاضِرٌ.

وَلَا يَبْخَلُ بِمَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَالِ، بَلْ يُنْفِقُ عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى غَيْرِهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: النَّاسُ مِنْ خَوْفِ الْفَقْرِ فِيْ فَقْرٍ، وَكَانُوْا فِي الزَّمَانِ الأَوَّلِ يَتَعَلَّمُوْنَ الْحِرْفَةَ، ثُمَّ يَتَعَلَّمُوْنَ الْعِلْمَ حَتَّى لَايَطْمَعُوْا فِيْ أَمْوَالِ النَّاسِ، وَفِي الْحِكْمَةِ: مَنِ اسْتَغْنَى بِمَالِ **النَّاسِ** افْتَقَرَ، وَالْعَالِمُ إِذَا كَانَ طَمَّاعًا لَمْ تَبْقَ لَهُ حُرْمَةُ الْعِلْمِ وَلَا يَقُوْلُ بِالْحَقِّ، وَلِهَذَا كَانَ يَتَعَوَّذُ صَاحِبُ الشَّرْعِ ﷺ مِنْهُ، وَيَقُوْلُ: أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى **طَبَعٍ**.

وَيَنْبَغِيْ لِلْمُؤْمِنِ أَلَّا يَرْجُوَ إِلَّا مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَخَافَ إِلَّا مِنْهُ تَعَالَى، وَيَظْهَرُ ذَلِكَ بِمُجَاوَزَةِ حَدِّ الشَّرْعِ وَعَدَمِهَا، فَمَنْ عَصَى اللهَ تَعَالَى خَوْفًا مِنَ الْمَخْلُوْقِ، فَقَدْ خَافَ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى، فَإِذَا لَمْ يَعْصِ اللهَ تَعَالَى لِخَوْفِ الْمَخْلُوْقِ، وَرَاقَبَ حُدُوْدَ الشَّرْعِ، فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ اللهِ تَعَالَى، بَلْ خَافَ اللهَ تَعَالَى، وَكَذَا **فِيْ جَانِبِ الرَّجَاءِ**، وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَعُدَّ وَيُقَدِّرَ لِنَفْسِهِ تَقْدِيْرًا فِي التَّكْرَارِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِرُّ قَلْبُهُ حَتَّى يَبْلُغَ ذَلِكَ الْمَبْلَغَ.

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يُكَرِّرَ سَبَقَ الْأَمْسِ خَمْسَ مَرَّاتٍ، وَسَبَقَ الْيَوْمِ الَّذِيْ قَبْلَ الْأَمْسِ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَالسَّبَقَ الَّذِيْ قَبْلَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالَّذِيْ قَبْلَهُ اثْنَيْنِ، . . . .

إياك والطمع: يعني أن المرء إنما يطمع لخوفه من فقر متوقع، والطمع فقر حاضر، فهو يلتجئ إلى الفقر؛ خوفا من الفقر كالمستجير من الرمضاء بالنار. **الناس**: تنسب هذه الحكمة إلى أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه. **طبع**: - بكسر الطاء وفتح الباء - الدنس والعيب.
في جانب الرجاء: يعني إذا لم يعص الله رجاء لمخلوق، فهو في الواقع لم يرج غير الله.

وَالَّذِيْ قَبْلَهُ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَهَذَا أَدْعَى إِلَى الْحِفْظِ.

وَيَنْبَغِيْ أَلَّا يَعْتَادَ الْمُخَافَتَةَ فِي التَّكْرَارِ؛ لِأَنَّ الدَّرْسَ وَالتَّكْرَارَ يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَا بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَلَا يَجْهَرْ جَهْرًا يُجْهِدُ نَفْسَهُ؛ كَيْلَا يَنْقَطِعَ عَنِ التَّكْرَارِ، فَخَيْرُ الْأُمُوْرِ أَوْسَطُهَا.

حُكِيَ أَنَّ أَبَا يُوْسُفَ رحمه الله كَانَ يُذَاكِرُ الْفِقْهَ مَعَ الْفُقَهَاءِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ، وَكَانَ صِهْرُهُ عِنْدَهُ يَتَعَجَّبُ فِيْ أَمْرِهِ، وَيَقُوْلُ: أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ جَائِعٌ مُنْذُ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يُنَاظِرُ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ.

وَيَنْبَغِيْ أَلَّا يَكُوْنَ لِطَالِبِ الْعِلْمِ **فَتْرَةٌ**؛ فَإِنَّهَا آفَتُهُ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله يَقُوْلُ: إِنَّمَا فُقْتُ شُرَكَائِي بِأَنِّيْ لَمْ تَقَعْ لِي الْفَتْرَةُ فِي التَّحْصِيْلِ.

وَكَانَ يُحْكَى عَنْ شَيْخِ الإِسْلَامِ الأَسْبِيْجَانِيْ: أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ فِيْ زَمَانِ تَحْصِيْلِهِ وَتَعَلُّمِهِ فَتْرَةُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً بِانْقِلَابِ الْمُلْكِ، فَخَرَجَ مَعَ شَرِيْكِهِ فِي الْمُنَاظَرَةِ إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُمَا الاِسْتِمْرَارُ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَظَلَّا يَدْرُسَانِهِ مَعًا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، فَصَارَ شَرِيْكُهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ لِلشَّافِعِيِّيْنَ، وَكَانَ هُوَ شَافِعِيًّا.

وَكَانَ أُسْتَاذُنَا الشَّيْخُ الْقَاضِيْ الإِمَامُ فَخْرُ الإِسْلَامِ قَاضِيْ خَانَ يَقُوْلُ: يَنْبَغِيْ لِلْمُتَفَقِّهِ أَنْ يَحْفَظَ كِتَابًا وَاحِدًا مِنْ كُتُبِ الْفِقْهِ دَائِمًا؛ لِيَتَيَسَّرَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ حِفْظُ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفِقْهِ.

الفترة: العطلة، ومن أجل هذا كان واجبا على طلاب العلم ألا يتركوا المذكرة أثناء عطلة الصيف.

فصل في التوكل

ثُمَّ لَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ التَّوَكُّلِ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَلَا يَهْتَمُّ لِأَمْرِ الرِّزْقِ، وَلَا يَشْغَلُ قَلْبُهُ بِذَلِكَ، رَوَى أَبُوْ حَنِيْفَةَ رحمه الله عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَسَنِ الزَّبِيْدِيِّ رضي الله عنه صَاحِبِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ: مَنْ تَفَقَّهَ فِيْ دِيْنِ اللهِ، كَفَاهُ اللهُ تَعَالَى هَمَّهُ، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ؛ فَإِنَّ مَنِ اشْتَغَلَ قَلْبُهُ بِأَمْرِ الرِّزْقِ مِنَ الْقُوْتِ وَالْكِسْوَةِ، قَلَّمَا يَتَفَرَّغُ لِتَحْصِيْلِ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ وَمَعَالِي الأُمُوْرِ، قِيْلَ:

دَعِ **الْمَكَارِمَ** لَا تَرْحَلْ لِبُغْيَتِهَا وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِيْ

قَالَ رَجُلٌ لِمَنْصُوْرِ الْحَلَّاجِ: أَوْصِنِيْ، فَقَالَ: هِيَ نَفْسُكَ إِنْ لَمْ تَشْغَلْهَا شَغَلَتْكَ، فَيَنْبَغِيْ لِكُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَشْغَلَ نَفْسَهُ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، حَتَّى لَا تَشْتَغِلَ بِهَوَاهَا، وَلَا يَهْتَمُّ الْعَاقِلُ لِأَمْرِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْهَمَّ وَالْحُزْنَ لَا يَرُدُّ الْمُصِيْبَةَ وَلَا يَنْفَعُ، بَلْ يَضُرُّ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، وَيُخِلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَهْتَمُّ لِأَمْرِ الآخِرَةِ؛ لِأَنَّهُ يَنْفَعُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: إِنَّ مِنَ الذُّنُوْبِ ذُنُوْبًا لَا يُكَفِّرُهَا إِلَّا هَمُّ الْمَعِيْشَةِ، فَالْمُرَادُ مِنْهُ قَدْرُ هَمٍّ لَا يُخِلُّ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَلَا يَشْغَلُ الْقَلْبَ شُغْلًا يُخِلُّ بِإِحْضَارِ الْقَلْبِ فِي الصَّلَاةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ الْهَمِّ وَالْقَصْدِ مِنْ أَعْمَالِ الآخِرَةِ.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَقْلِيْلِ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ بِقَدْرِ الْوُسْعِ، وَلِهَذَا اخْتَارُوا الْغُرْبَةَ،

دع المكارم إلخ: يسخر الشاعر ممن يخالطه بهذا البيت ويحقره؛ لأنه يقول له: إنك لا تستطيع الجري في مجال المكارم والمحامد؛ لأن همك محصور في السعي وراء الطعام والكسوة، ويقصد المصنف باستشهاده بهذا البيت أن يؤيد ما يقوله من أن من اشتغل قلبه بتحصيل الرزق، قلما يفكر في مكارم الأخلاق ومعالي الأمور.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَحَمُّلِ النَّصَبِ وَالْمَشَقَّةِ فِيْ سَفَرِ التَّعَلُّمِ، كَمَا قَالَ مُوْسَى - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ - فِيْ سَفَرِ التَّعَلُّمِ، وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَسْفَارِ: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَباً﴾ (الكهف:٦٢)، لِيُعْلَمَ أَنَّ سَفَرَ الْعِلْمِ لَا يَخْلُوْ مِنَ التَّعَبِ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ أَمْرٌ عَظِيْمٌ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ عِنْدَ أَكْثَرِ الْعُلَمَاءِ، وَالأَجْرُ عَلَى قَدْرِ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ وَجَدَ لَذَّةً تَفُوْقُ سَائِرَ لَذَّاتِ الدُّنْيَا، وَلِهَذَا كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رحمه الله إِذَا سَهِرَ اللَّيَالِيَ، وَانْحَلَّتْ لَهُ الْمُشْكِلَاتُ، يَقُوْلُ: أَيْنَ أَبْنَاءُ الْمُلُوْكِ مِنْ هَذِهِ اللَّذَّاتِ؟.

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَشْتَغِلَ بِشَيْءٍ آخَرَ غَيْرِ الْعِلْمِ، وَلَا يُعْرِضَ عَنِ الْفِقْهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ رحمه الله: إِنَّ صَنَاعَتَنَا هَذِهِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحْدِ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْرُكَ عِلْمَنَا هَذَا سَاعَةً، **فَلْيَتْرُكْهُ السَّاعَةَ**.

وَدَخَلَ فَقِيْهٌ عَلَى أَبِيْ يُوْسُفَ رحمه الله يَعُوْدُهُ فِيْ مَرَضِ مَوْتِهِ، وَهُوَ يَجُوْدُ بِنَفْسِهِ، فَقَالَ أَبُوْ يُوْسُفَ رحمه الله لَهُ: رَمْيُ الْجِمَارِ رَاكِبًا أَفْضَلُ أَمْ رَاجِلًا؟ فَلَمْ يَعْرِفِ الْجَوَابَ، فَأَجَابَ بِنَفْسِهِ، وَهَكَذَا يَنْبَغِيْ لِلْفَقِيْهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِهِ فِيْ جَمِيْعِ أَوْقَاتِهِ، فَحِيْنَئِذٍ يَجِدُ لَذَّةً عَظِيْمَةً فِيْ ذَلِكَ.

فليتركه الساعة: يريد أن من شرع في تعلم الفقه، وهو ينوي أن يترك الاشتغال به في وقت من الأوقات، كانت إرادته في تعلم الفقه ضعيفة وتصميمه مزعزعا، ومن شرع في عمل شيء، وهو ضعيف الإرادة مزعزع التصميم، لا ينجزه ولا يبلغ منه شيئا، لا سيما إذا كان عظيم الشأن جليل القدر كعلم الفقه، وإذن فينبغي له أن يترك الاشتغال به؛ لأنه حينئذ غير منتج وعبث باطل.

وَقِيْلَ: رُؤِيَ **مُحَمَّدٌ** رحمه الله فَي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فَقِيْلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتَ فِيْ حَالِ النَّزْعِ؟ فَقَالَ: كُنْتُ مُتَأَمِّلًا فِيْ مَسْأَلَةٍ مِنْ مَسَائِلِ الْمُكَاتَبِ، فَلَمْ أَشْعُرْ بِخُرُوْجِ رُوْحِيْ، وَقِيْلَ: إِنَّهُ قَالَ فِيْ آخِرِ عُمْرِهِ: شَغَلَتْنِيْ مَسَائِلُ **الْمُكَاتَبِ** عَنِ الاِسْتِعْدَادِ لِهَذَا الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ تَوَاضُعًا.

محمد: هو محمد بن الحسن رحمه الله. **المكاتب:** بصيغة اسم المفعول: هو العبد الذي تعاقد مع سيده أن يعتقه نظير مبلغ من المال مؤجل، يصير حرا بعد سداده لسيده.

فصل في وقت التحصيل

قيل: وَقْتُ التَّعَلُّمِ مِنَ الْمَهْدِ إِلَى اللَّحَدِ، وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ **شَرْخُ الشَّبَابِ**، وَوَقْتُ السَّحَرِ، وَمَا بَيْنَ الْعِشَائَيْنِ.

وَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَغْرِقَ جَمِيْعَ أَوْقَاتِهِ، فَإِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمٍ، يَشْتَغِلُ بِعِلْمٍ آخَرَ، وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﭬ إِذَا مَلَّ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، يَقُوْلُ: هَاتُوْا دِيْوَانَ الشُّعَرَاءِ، وَكَانَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ ﷫ لَا يَنَامُ اللَّيْلَ، وَكَانَ يَضَعُ عِنْدَهُ الدَّفَاتِرَ، وَكَانَ إِذَا مَلَّ مِنْ نَوْعٍ يَنْظُرُ فِيْ نَوْعٍ آخَرَ.

شرخ الشباب: أوله، والسحر: قبيل الصبح، والعشاءان: المغرب والعشاء.

فصل في الشفقة والنصيحة

يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ صَاحِبُ الْعِلْمِ مُشْفِقًا نَاصِحًا غَيْرَ حَاسِدٍ، فَالْحَسَدُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفعُ، وَكَانَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ بُرْهَانُ الدِّيْنِ رحمه الله يَقُوْلُ: إِنَّ ابْنَ الْمُعَلِّمِ يَكُوْنُ عَالِمًا؛ لِأَنَّ الْمُعَلِّمَ يُرِيْدُ أَنْ تَكُوْنَ تَلَامِيْذُهُ عُلَمَاءَ، فَبِبَرَكَةِ اعْتِقَادِهِ وَشَفَقَتِهِ يَكُوْنُ ابْنُهُ عَالِمًا.

وَكَانَ يُحْكَى أَنَّ الصَّدْرَ الأَجَلَّ بُرْهَانَ الأَئِمَّةِ رحمه الله جَعَلَ وَقْتَ السَّبَقِ لِابْنَيْهِ الصَّدْرِ الشَّهِيْدِ حُسَامِ الدِّيْنِ، وَالصَّدْرِ السَّعِيْدِ تَاجِ الدِّيْنِ رحمهما الله وَقْتَ الضَّحْوَةِ الْكُبْرَى بَعْدَ جَمِيْعِ الأَسْبَاقِ، وَكَانَا يَقُوْلَانِ: طَبِيْعَتُنَا تَكِلُّ وَتَملُّ فِيْ ذَلِكَ الْوَقْتِ، فَقَالَ أَبُوْهُمَا رحمه الله: إِنَّ الْغُرَبَاءَ وَأَوْلَادَ الْكُبَرَاءِ يَأْتُوْنَنِيْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ أُقَدِّمَ أَسْبَاقَهُمْ، فَبِبَرَكَةِ شَفَقَتِهِ تَفَوَّقَ ابْنَاهُ عَلَى أَكْثَرِ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِيْ ذَلِكَ الْعَصْرِ.

وَيَنْبَغِيْ أَلَّا يُنَازِعَ أَحَدًا وَلَا يُخَاصِمَهُ؛ لِأَنَّهُ يُضَيِّعُ أَوْقَاتَهُ، قِيْلَ: الْمُحْسِنُ سَيُجْزَى بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيْءُ سَتَكْفِيْهِ مَسَاوِيْهِ، أَنْشَدَنِيْ الشَّيْخُ الإِمَامُ ركن الإِسْلَامِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِيْ بَكْرٍ الْمَعْرُوْفُ بِإِمَامِ خَوَاهِر زَادَه المفتي رحمه الله قَالَ: أَنْشَدَنِيْ سُلْطَانُ الشَّرِيْعَةِ يُوْسُفُ الْهَمَدَانِيُّ رحمه الله:

وَلَا تَجْزِ إِنْسَانًا عَلَى سُوْءِ فِعْلِهِ ... سَيَكْفِيْهِ مَا فِيْهِ وَمَا هُوَ فَاعِلُهُ

وَقِيْلَ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يَرْغَمَ أَنْفَ عَدُوِّهِ، فَلْيُكَرِّرْ هَذَا الشِّعْرَ وَأُنْشِدْتُ:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُلْقِيْ عَدُوَّكَ رَاغِمًا ... وَتَقْتُلَهُ غَمًّا وَتَحْرِقَهُ هَمًّا

فَرُمْ لِلْعُلَا وَازْدِدْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّهُ مَنِ ازْدَادَ عِلْمًا زَادَ حَاسِدُهُ غَمَّا

وَعَلَيْكَ أَنْ تَشْتَغِلَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ لَا بِقَهْرِ عَدُوِّكَ، فَإِذَا قُمْتَ بِمَصَالِحِ نَفْسِكَ تَضَمَّنَ ذَلِكَ قَهْرَ عَدُوِّكَ، وَإِيَّاكَ وَالْمُعَادَاةَ؛ فَإِنَّهَا تَفْضَحُكَ وَتُضِيْعُ أَوْقَاتَكَ، وَعَلَيْكَ بِالتَّحَمُّلِ لَا سَيِّمَا مِنَ السُّفَهَاءِ، قَالَ عِيْسَى بْنُ مَرْيَمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ - : احْتَمِلُوْا مِنَ السَّفِيْهِ وَاحِدَةً؛ كَيْ تَرْبَحُوْا عَشْرًا، وَأُنْشِدْتُ لِبَعْضِهِمْ:

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرَ غَيْرَ **خَتَّالٍ وَقَالِيْ**

وَلَمْ أَرَ فِي الْخُطُوْبِ أَشَدَّ وَقْعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

وَذُقْتُ مَرَارَةَ الأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا شَيْءٌ أَمَرَّ مِنَ السُّؤَالِ

وَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ شَرًّا بِالْمُؤْمِنِيْنِ؛ فَإِنَّهُ منشأ العداوة، وَلا يحِلُّ ذَلِكَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: ظُنُّوْا بِالْمُؤْمِنِيْنَ خَيْرًا، وَإِنَّمَا يَنْشَأُ ذَلِكَ مِنْ خُبُثِ النِّيَّةِ وسوء السريرة، كما قال أبو الطيب:

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُوْنُهُ وَصَدَّقَ مَا **يَعْتَادُهُ** مِنْ تَوَهُّمِ

وَعَادَى مُحِبِّيْهِ بِقَوْلِ **عُدَاتِهِ** وَأَصْبَحَ فِيْ لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ

وَأُنْشِدْتُ لِبَعْضِهِمْ:

تَنَحَّ عَنِ الْقَبِيْحِ وَلَا تُرِدْهُ وَمَنْ أَوْلَيْتَهُ حَسَنًا فَزِدْهُ

فرم للعلا: رم للعلا: اطلب العلا، فعل أمر من رام الشيء: طلبه. **ختال وقالي:** مخادع. قالي: كاره، من قلاه يقليه إذا كرهه. **يعتاده:** ينتابه ويرد على ذهنه من خواطر وأوهام. **عداته:** العداة - بضم العين - جمع العادي: وهو العدو.

سَتُكْفَى مِنْ عَدُوِّكَ كُلَّ كَيْدٍ ... إِذَا كَادَ الْعَدُوُّ فَلَا تُكِدْهُ

وَأُنْشِدْتُ لِلشَّيْخِ الْعَمِيْدِ أَبِي الْفَتْحِ الْبُسْتِيْ رحمه الله:

ذُو الْعَقْلِ لَا يَسْلَمُ مِنْ جَاهِلٍ ... يَسُوْمُهُ ظُلْمًا وَ**إِعْنَاتًا**

فَلْيَخْتَرِ السِّلْمَ عَلَى حَرْبِهِ ... وَلْيَلْزَمِ **الإِنْصَاتَ إِنْ صَاتَا**

إعناتا: الإعنات: الإحراج من أعنته إذا أحرجه وأوقعه فيما لا يستطيع الخروج منه.

الإنصات: الإصغاء، ويريد به السكوت. **إن صاتا:** أي إن أحدث صوتا وصاح، فالألف فيه للإشباع.

فصل في الاستفادة

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ طَالِبُ الْعِلْمِ مُسْتَفِيْدًا فِي كُلِّ وَقْتٍ، حَتَّى يَحْصُلَ لَهُ الْفَضْلُ، وَطَرِيْقُ الاِسْتِفَادَةِ أَنْ يَكُوْنَ مَعَهُ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ مَحْبَرَةٌ، حَتَّى يَكْتُبَ مَا يَسْمَعُ مِنَ الْفَوَائِدِ، فَقَدْ قِيْلَ: **مَنْ حَفِظَ فَرَّ**، وَمَنْ كَتَبَ شَيْئًا قَرَّ، وَقِيْلَ: الْعِلْمُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ؛ لِأَنَّهُمْ يَحْفَظُوْنَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُوْنَ، وَيَقُوْلُوْنَ أَحْسَنَ مَا يَحْفَظُوْنَ.

وَسَمِعْتُ الشَّيْخَ الإِمَامَ الأَدِيْبَ الأُسْتَاذَ زَيْنَ الإِسْلَامِ الْمَعْرُوْفَ بِالأَدِيْبِ الْمُخْتَارِ يَقُوْلُ: قَالَ هِلَالُ بْنُ يَسَارٍ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُوْلُ لِأَصْحَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُوْلَ اللهِ! أَعِدْ لِيْ مَا قُلْتَ لَهُمْ، فَقَالَ لِيْ: هَلْ مَعَكَ مَحْبَرَةٌ؟ فَقُلْتُ: مَا مَعِي مَحْبَرَةٌ، فَقَالَ: يَاهِلَالُ! لَا تُفَارِقِ الْمَحْبَرَةَ؛ فَإِنَّ الْخَيْرَ فِيْهَا، وَفِيْ أَهْلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَوَصَّى الصَّدْرُ الشَّهِيْدُ حُسَامُ الدِّيْنِ ابْنَهُ شَمْسَ الدِّيْنِ أَنْ يَحْفَظَ كُلَّ يَوْمٍ شَيْئًا يَسِيْرًا مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهُ عَنْ قَرِيْبٍ يَكُوْنُ كَثِيْرًا، وَاشْتَرَى عِصَامُ بْنُ يُوْسُفَ قَلَمًا بِدِيْنَارٍ؛ لِيَكْتُبَ مَا سَمِعَهُ فِي الْحَالِ، فَالْعُمْرُ قَصِيْرٌ وَالْعِلْمُ كَثِيْرٌ، فَيَنْبَغِيْ أَلَّا يُضِيْعَ الأَوْقَاتَ وَالسَّاعَاتِ، وَيَغْتَنِمَ اللَّيَالِيَ وَالْخَلَوَاتِ.

عَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ أَنَّهُ قَالَ: اللَّيْلُ طَوِيْلٌ فَلَا تُقَصِّرْهُ بِمَنَامِكَ، وَالنَّهَارُ مُضِيْءٌ فَلَا تُكَدِّرْهُ بِآثَامِكَ، وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَغْتَنِمَ الشُّيُوْخَ وَيَسْتَفِيْدَ مِنْهُمْ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا فَاتَ يُدْرَكُ، كَمَا قَالَ أُسْتَاذُنَا شَيْخُ الإِسْلَامِ رحمه الله: كَمْ مِنْ شَيْخٍ كَبِيْرٍ أَدْرَكْتُهُ

من حفظ فر: أي من حفظ شيئا فر منه ما حفظه، ومن كتب شيئا استقر وسكن عنده ما كتبه.

وَمَا اسْتَخْبَرْتُهُ.

وَأَقُوْلُ عَلَى هَذَا الْفَوْتِ مُنْشِئًا هَذَا الْبَيْتِ:

لَهَفِي عَلَى فَوْتِ التَّلَاقِيْ لَهْفًا ... مَا كُلُّ مَا فَاتَ وَيَفْنَى **يُلْفَى**

قَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إِذَا كُنْتَ فِيْ أَمْرٍ **فَكُنْ فِيْهِ**، وَكَفَى بِالْإِعْرَاضِ عَنْ عِلْمِ اللهِ خِزْيًا وَخَسَارًا، وَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ لَيْلًا وَنَهَارًا.

وَلَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنْ تَحَمُّلِ الْمَشَقَّةِ، وَالْمَذَلَّةِ فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ، وَالتَّمَلُّقُ مَذْمُوْمٌ إِلَّا فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ؛ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ التَّمَلُّقِ لِلْأُسْتَاذِ وَالشُّرَكَاءِ وَغَيْرِهِمْ؛ لِلْاِسْتِفَادَةِ مِنْهُمْ، قِيْلَ: الْعِلْمُ عِزٌّ لَا ذُلَّ فِيْهِ، وَلَا يُدْرَكُ إِلَّا بِذُلٍّ لَا عِزَّ فِيْهِ، وَقَالَ الْقَائِلُ:

أَرَى لَكَ نَفْسًا تَشْتَهِيْ أَنْ تُعِزَّهَا ... فَلَسْتَ تَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى تُذِلَّهَا

يلفى: يوجد. فكن فيه: يعني إذا كنت في طلب أمر، فتفرغ له، واجتهد في تحصيله.

فصل في الورع في حالة التعلم

رَوَى بَعْضُهُمْ حَدِيْثًا فِيْ هَذَا الْبَابِ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ لَمْ يَتَوَرَّعْ فِيْ تَعَلُّمِه، ابْتَلَاهُ اللهِ تَعَالَى بِأَحَدِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاء: إِمَّا أَنْ يُمِيْتَهُ فِيْ شَبَابِه، أَوْ يُوْقِعَهُ فِي الرَّسَاتِيْقِ، أَوْ يَبْتَلِيَهُ بِخِدْمَةِ السُّلْطَانِ، فَمَهْمَا كَانَ طَالِبُ الْعِلْمِ أَوْرَعَ، كَانَ عِلْمُهُ أَنْفَعَ، وَالتَّعَلُّمُ لَهُ أَيْسَرَ، وَفَوَائِدُهُ أَكْثَرَ، وَمِنَ الْوَرَعِ الْكَامِلِ أَنْ يَحْترِزَ عَنِ الشِّبَعِ وَكَثْرَةِ النَّوْمِ، وَكَثْرَةِ الْكَلَامِ فِيْمَا لَا يَنْفَعُ، وَأَنْ يَتَحَرَّزَ عَنْ أَكْلِ طَعَامِ السُّوْقِ إِنْ أَمْكَنَ؛ لِأَنَّ طَعَامَ السُّوْقِ أَقْرَبُ لِلنِّجَاسَةِ وَالْخِيَانَةِ، وَأَبْعَدُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْغَفْلَةِ، وَلِأَنَّ أَبْصَارَ الْفُقَرَاءِ تَقَعُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقْدِرُوْنَ عَلَى الشِّرَاءِ مِنْهُ، فَيَتَأَذَّوْنَ بِذَلِكَ، فَتَذْهَبَ بَرَكَتُهُ.

حُكِيَ أَنَّ الشَّيْخَ الإِمَامَ الْجَلِيْلَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضَلِ رحمه الله كَانَ فِيْ حَالِ تَعَلُّمِهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ طَعَامِ السُّوْقِ، وَكَانَ أَبُوْهُ يَسْكُنُ فِي الرُّسْتَاقِ، وَيُهَيِّئُ لَهُ طَعَامَهُ، وَيَدْخُلُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَرَأَى فِيْ بَيْتِ ابْنِهِ خُبْزَ السُّوْقِ يَوْمًا، فَلَمْ يُكَلِّمْهُ سَاخِطًا عَلَيْهِ فَاعْتَذَرَ ابْنُهُ، وَقَالَ: مَا اشْتَرَيْتُهُ وَلَمْ أَرْضَ بِهِ، وَلٰكِنْ أَحْضَرَهُ شَرِيْكِيْ، فَقَالَ لَهُ أَبُوْهُ: لَوْ كُنْتَ تَحْتَاطُ وَتَتَوَرَّعُ عَنْ مِثْلِهِ لَمْ يَجْتَرِئْ شَرِيْكُكَ عَلَى ذَلِكَ، وَهَكَذَا كَانُوْا يَتَوَرَّعُوْنَ، فَلِذَلِكَ وَفِقُوْا لِلْعِلْمِ وَالنَّشْرِ، حَتَّى بَقِيَ اسْمُهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَوَصَّى فَقِيْهٌ مِنْ زُهَّادِ الْفُقَهَاءِ طَالِبَ عِلْمٍ، فَقَالَ لَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تَتَحَرَّزَ عَنِ الْغِيْبَةِ وَعَنْ مُجَالَسَةِ ....

الرساتيق: جمع رستاق: وهو الريف والقرى، والظاهر أن هذا الحديث موضوع.

الْمِكْثَار، وَقَالَ: إِنَّ مَنْ يُكْثِرُ الْكَلَامَ، يَسْرِقُ عُمُرَكَ وَيُضَيِّعُ أَوْقَاتَكَ، وَمِنَ الْوَرَعِ أَنْ يَجْتَنِبَ أَهْلَ الْفَسَادِ وَالْمَعَاصِيْ وَالتَّعْطِيْلِ، وَيُجَاوِرَ الصُّلَحَاءَ، فَإِنَّ الْمُجَاوَرَةَ مُؤَثِّرَةٌ لَامَحَالَةَ، وَأَنْ يَجْلِسَ مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ، وَيَكُوْنَ **مُسْتَنًّا** بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَغْتَنِمَ دُعَاءَ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَيَحْتَرِزَ عَنْ دُعَاءِ الْمَظْلُوْمِيْنَ.

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ خَرَجَا فِيْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْغُرْبَةِ، وَكَانَا شَرِيْكَيْنِ، فَرَجَعَا بَعْدَ سِنِيْنَ إِلَى بَلَدِهِمَا وَقَدْ فَقِهَ أَحَدُهُمَا وَلَمْ يَفْقَهِ الْآخَرُ، فَتَأَمَّلَ فُقَهَاءُ الْبَلْدَةِ، وَسَأَلُوْا عَنْ حَالِهِمَا وَتَكْرَارِهِمَا وَجُلُوْسِهِمَا، فَأُخْبِرُوْا أَنَّ جُلُوْسَ الَّذِيْ تَفَقَّهَ، فِيْ حَالِ التَّكْرَارِ كَانَ مُسْتَقْبِلاً الْقِبْلَةَ وَ**الْمِصْرَ** الَّذِيْ حَصَّلَ الْعِلْمَ فِيْهِ، وَالْآخَرُ كَانَ مُسْتَدْبِرًا الْقِبْلَةَ، وَوَجْهُهُ إِلَى غَيْرِ الْمِصْرِ، فَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَهَاءُ أَنَّ الْفَقِيْهَ فَقِهَ بِبَرَكَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ؛ إِذْ هُوَ السُّنَّةُ فِي الْجُلُوْسِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُوْرَةِ، وَبِبَرَكَةِ دُعَاءِ الْمُسْلِمِيْنَ؛ فَإِنَّ الْمِصْرَ لَا يَخْلُوْ عَنِ الْعُبَّادِ وَأَهْلِ الْخَيْرِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ عَابِدًا من الْعُبَّادِ دَعَا لَهُ فِي اللَّيْلِ، فَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَلَّا يَتَهَاوَنَ بِالْآدَابِ وَالسُّنَنِ؛ فَإِنَّ مَنْ يَتَهَاوَنُ بِالْآدَابِ يُحْرَمُ السُّنَنَ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالسُّنَنِ حُرِمَ الْفَرَائِضَ، وَمَنْ تَهَاوَنَ بِالْفَرَائِضِ حُرِمَ الْآخِرَةَ.

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يُكْثِرَ الصَّلَاةَ، وَيُصَلِّي صَلَاةَ الْخَاشِعِيْنَ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَوْنٌ لَهُ عَلَى التَّحْصِيْلِ وَالتَّعَلُّمِ، أُنْشِدْتُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيْلِ الزَّاهِدِ الْحَجَّاجِ نَجْمِ الدِّيْنِ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ النَّسَفِي: ....

المكثار: كثير الكلام. **مستنا**: متبعا لسنة النبي ﷺ. **المصر**: المدينة.

كُنْ لِلأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي حَافِظًا وَعَلَى الصَّلَاةِ مُوَاظِبًا وَمُحَافِظًا
وَاطْلُبْ عُلُوْمَ الشَّرْعِ وَاجْهَدْ بِالطَّيِّبَاتِ تَصِرْ فَقِيْهًا حَافِظًا
وَاسْأَلْ إِلَهَكَ حِفْظَ حِفْظِكَ رَاغِبًا فِيْ فَضْلِهِ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا

وقال أيضا رحمه الله:

أَطِيْعُوْا وَجِدُّوْا وَلَا تَكْسَلُوْا وَأَنْتُمْ إِلَى رَبِّكُمْ تَرْجِعُوْنَ
وَلَا **تَهْجَعُوْا** فَخِيَارُ الْوَرَى قَلِيْلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَسْتَصْحِبَ دَفْتَرًا عَلَى كُلِّ حَالٍ لِيُطَالِعَهُ، وَقِيْلَ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دَفْتَرٌ فِيْ **كُمِّهِ**، لَمْ تَثْبُتِ الْحِكْمَةُ فِيْ قَلْبِهِ، وَيَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْنَ فِي الدَّفْتَرِ بَيَاضٌ؛ لِيَكْتُبَ فِيْهِ مَا سَمِعَهُ مِنْ أَفْوَاهِ الرِّجَالِ، وَيَسْتَصْحِبَ الْمَحْبَرَةَ؛ لِيَكْتُبَ مَا يَسْتَمِعُ، وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيْثَ هِلَالِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه.

لا تهجعوا إلخ: لا تناموا، خيار: جمع خير بتشديد الياء المكسورة. الورى: الخلق، وفي الشعر اقتباس من القرآن. **كمه:** الكم: مدخل اليد ومخرجها من الثوب والمراد الجيب.

فصل فيما يورث الحفظ

وَأَقْوَى أَسْبَابِ الْحِفْظِ الْجِدُّ وَالْمُوَاظَبَةُ وَتَقْلِيْلُ الْغِذَاءِ وَصَلَاةُ اللَّيْلِ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ مِنْ أَسْبَابِ الْحِفْظِ، قِيْلَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَزْيَدَ لِلْحِفْظِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ **نَظْرًا**، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظْرًا أَفْضَلُ، وَرَأَى شَدَّادُ بْنُ حَكِيْمٍ بَعْضَ إِخْوَانِهِ فِي الْمَنَامِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، فقال: أَيُّ شَيْءٍ وَجَدْتَهُ أَنْفَعَ؟ قَالَ: قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ نَظْرًا، وَيَقُوْلُ عِنْدَ رَفْعِ الْكِتَابِ: بِسْمِ اللهِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ الْعَزِيْزِ عَدَدَ كُلِّ حَرْفٍ كُتِبَ وَيُكْتَبُ أَبَدَ الآبِدِيْنَ وَدَهْرَ الدَّاهِرِيْنَ، وَيَقُوْلُ بَعْدَ كُلِّ **مَكْتُوْبَةٍ**: آمَنْتُ بِاللهِ الْوَاحِدِ الأَحَدِ الْحَقِّ، وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، وَكَفَرْتُ بِمَا سِوَاهُ، وَيُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ فَإِنَّهُ رَحْمَةٌ لِلْعَالَمِيْنَ، قِيْلَ:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيْعٍ سُوْءَ حِفْظِيْ ... فَأَرْشَدَنِيْ إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِيْ
فَإِنَّ الْحِفْظَ فَضْلٌ مِنْ إِلَهِيْ ... وَفَضْلُ اللهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِيْ

وَالسِّوَاكُ وَشُرْبُ الْعَسَلِ وَأَكْلُ **الْكُنْدُرِ** مَعَ السُّكَّرِ، وَأَكْلُ إِحْدَى وَعِشْرِيْنَ زَبِيْبَةً حَمْرَاءَ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى الرِّيْقِ يُوْرِثُ الْحِفْظَ وَيَشْفِيْ مِنْ كَثِيْرٍ مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ، وَأَكْلُ مَا يُقَلِّلُ الْبَلْغَمَ وَالرُّطُوْبَاتِ يَزِيْدُ فِيْ الْحِفْظِ، وَأَمَّا مَا يُوْرِثُ النِّسْيَانَ، فَالْمَعَاصِيْ وَكَثْرَةُ الذُّنُوْبِ، وَالْهُمُوْمُ وَالْأَحْزَانُ فِيْ أُمُوْرِ الدُّنْيَا، وَكَثْرَةُ الأَشْغَالِ وَالْعَلَائِقِ، وَكُلُّ مَا يَزِيْدُ فِي الْبَلْغَمِ يُوْرِثُ النِّسْيَانَ.

وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِيْ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَهْتَمَّ لِأَمْرِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، . . . .

نظرا: أي تلاوة في المصحف. مكتوبة: أي صلاة مفروضة.

الكندر: - بضم الكاف والدال - نوع من العلك "اللبان الذكر".

وَهُمُوْمُ الدُّنْيَا لَا تَخلُوْ عَنِ الظُّلْمَةِ فِي الْقَلْبِ، وَهُمُوْمُ الآخِرَةِ لَا تَخْلُوْ عَنِ النُّوْرِ فِي الْقَلْبِ، وَيَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي الصَّلَاةِ، وَهَمُّ الدُّنْيَا يَمْنَعُهُ عَنِ الْخَيْرِ، وَهَمُّ الآخِرَةِ يَحْمِلُهُ عَلَيْهِ، وَالاِشْتِغَالُ بِالصَّلَاةِ عَلَى الْخُشُوْعِ، وَتَحْصِيْلُ الْعِلْمِ يَنْفِي الهَمَّ وَالْحُزْنَ، كما قال الشيخ الإمام نَصْرُ بْنُ الْحَسَنِ المرغيناني فيْ قَصِيْدَةٍ لَهُ:

اعتَنِ نَصْرَ بْنَ حَسَنْ ... بِــكُلِّ عِلْمٍ يُخْــتَزَنْ

ذَاكَ الَّذِيْ يَنْفِي الْحَزَنْ ... وَغَــيْرُهُ لَا يُؤْتَمَنْ

وَقَالَ الشَّيْخُ الإمام الأجلُّ نَجْمُ الدِّيْنِ عُمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ النَّسَفِيُّ فِيْ أُمِّ وَلَدٍ لَهُ:

سَلَامٌ عَلَى **مَنْ تَيَّمَتْنِيْ** بِطَرْفِهَا ... وَلَمْعَةِ خَدَّيْهَا وَلَمْحَةِ طَرْفِهَا

سَبَتْنِيْ وَأَصَبَّتْنِيْ فَتَاةٌ مَلِيْحَةٌ ... تَحَيَّرَتِ الْأَوْهَامُ فِيْ كُنْهِ وَصْفِهَا

فَقُلْتُ **ذَرِيْنِي** وَاعْذُرِيْنِي فَإِنَّنِيْ ... شُغِفْتُ بِتَحْصِيْلِ الْعُلُوْمِ وَكَشْفِهَا

وَلِي فِيْ طِلَابِ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالتُّقَى ... غِنًى عَنْ غِنَاءِ الْغَانِيَاتِ وَعَرْفِهَا

أَمَّا أَسْبَابُ نِسْيَانِ الْعِلْمِ فَأَكْلُ الْكُزْبَرَةِ الرَّطْبَةِ، وَالتُّفَّاحِ الْحَامِضِ، وَالنَّظَرِ إِلَى الْمَصْلُوْبِ، وَقِرَاءَةُ لَوْحِ الْقُبُوْرِ، وَالْمُرُوْرُ بَيْنَ قِطَارِ الْجِمَالِ، وَإِلْقَاءُ الْقَمْلِ الْحَيِّ عَلَى الْأَرْضِ، وَالْحِجَامَةُ عَلَى نُقْرَةِ الْقَفَا، كُلُّهَا تُورِثُ النِّسْيَانَ.

من تيمتني إلخ: شغفتني حبا. لمعة الخدين: بريقها ونضارتهما. لمحة طرفها: يقال: لمح إليه – بفتح الميم – أي اختلس النظر إليه. والطرف: العين، والمقصود هنا حسن النظر ورشاقة الالتفات. **سبتني وأصبتني إلخ:** سبتني: أسرتني. أصبتني: شاقتني وأهاجت بي نشوة الصبا. الأوهام: هنا بمعنى العقول. كنه وصفها: حقيقة وصفها، وإنما تحيرت العقول في حقيقة وصفها؛ لأنها انبهرت بجمالها كما تنبهر العين بضوء الشمس، فلا تستطيع النظر إليها. **ذريني:** اتركيني. اعذريني: اسمحي لي بالتخلى عن الاشتغال بحبك. **ولي في طلاب إلخ:** طلاب: طلب، غناء: – بكسر الغين– التلحين والتغني. الغانيات: الجميلات. وعرف: – بفتح العين – الرائحة الطيبة.

فصل فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص

ثُمَّ لَا بُدَّ لِطَالِبِ الْعِلْمِ مِنَ الْقُوْتِ وَمَعْرِفَة مَا يَزِيْدُ فِيْهِ، وَمَا يَزِيْدُ فِي الْعُمُرِ وَالصِّحَّةِ؛ لِيَتَفَرَّغَ طَالِبُ الْعِلْمِ لِلسَّعْيِ إِلَى غَرَضِهِ، وَفِيْ كُلِّ ذَلِكَ صَنَّفُوْا كُتُبًا، فَأَوْرَدْتُ هَهُنَا بَعْضَهَا عَلَى سَبِيْلِ الاِخْتِصَارِ، قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيْدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبِرُّ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيْبُهُ، ثَبَتَ بِهَذَا الْحَدِيْثَ أَنَّ ارْتِكَابَ الذَّنْبِ سَبَبُ حِرْمَانِ الرِّزْقِ، خُصُوْصًا الْكَذِبَ، فَإِنَّهُ يُوْرِثُ الْفَقْرَ، وَقَدْ وَرَدَ فِيْهِ حَدِيْثٌ خَاصٌّ، وَكَذَا نَوْمُ الصُّبْحَةِ يَمْنَعُ الرِّزْقَ، وَكَثْرَةُ النَّوْمِ تُوْرِثُ الْفَقْرَ وَفَقْدَ الْعِلْمِ أَيْضًا، قَالَ الْقَائِلُ:

سُرُوْرُ النَّاسِ فِيْ لُبْسِ اللِّبَاسِ   وَجَمْعُ الْعِلْمِ فِيْ تَرْكِ النُّعَاسِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

أَلَيْسَ مِنَ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا   تَمُرُّ بِلَا نَفْعٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِيْ

وقال آخر:

قُمِ اللَّيْلَ يَا هَذَا لَعَلَّكَ تَرْشُدُ   إِلَى كَمْ تَنَامُ اللَّيْلَ وَالْعُمْرُ يَنْفُدُ

وَالنَّوْمُ عُرْيَانًا، وَالْبَوْلُ عُرْيَانًا، وَالأَكْلُ جُنُبًا، وَالأَكْلُ مُتَّكِئًا عَلَى جَنْبٍ، وَالتَّهَاوُنُ **بِسُقَاطَةِ الْمَائِدَةِ**، وَحَرْقُ قِشْرِ الْبَصَلِ وَالثُّوْمِ، وَكَنْسُ الْبَيْتِ بِالْمِنْدِيْلِ، . . . . .

بسقاطة المائدة: سقاطة الشيء: ما يسقط منه عادة. المائدة: الخوان، فسقاط المائدة هو فتات الخبز ونحوه.

وَكَنْسُ الْبَيْتِ فِي اللَّيْلِ، وَتَرْكُ **الْقُمَامَةِ** فِي الْبَيْتِ، وَالْمَشْيُ قُدَّامَ الْمَشَايِخِ، وَنِدَاءُ الأَبَوَيْنِ بِاسْمِهِمَا، وَ**الْخِلَالُ** بِكُلِّ خَشَبَةٍ، وَغَسْلُ الْيَدَيْنِ بِالطِّيْنِ وَالتُّرَابِ، وَالْجُلُوْسُ عَلَى الْعَتَبَةِ، وَالاتِّكَاءُ عَلَى أَحَدِ مِصْرَاعَيِ الْبَابِ، وَالتَّوَضُّؤُ فِي **الْمَبْرَزِ**، وَخِيَاطَةُ الثَّوْبِ عَلَى بَدَنِهِ، وَتَجْفِيْفُ الْوَجْهِ بِالثَّوْبِ، وَتَرْكُ بَيْتِ الْعَنْكَبُوْتِ فِي الْبَيْتِ، وَالتَّهَاوُنُ بِالصَّلَاةِ، وَإِسْرَاعُ الْخُرُوْجِ مِنَ الْمَسْجِدِ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَالإِبْكَارُ بِالذِّهَابِ إِلَى السُّوْقِ، وَالإِبْطَاءُ فِي الرُّجُوْعِ مِنْهُ، وَشِرَاءُ كُسَيْرَاتِ الْخُبْزِ مِنَ الْفُقَرَاءِ السُّؤَّالِ، وَدُعَاءُ الشَّرِّ عَلَى الْوَلَدِ، وَتَرْكُ **تَخْمِيْرِ الْأَوَانِيْ**، وَإِطْفَاءُ السِّرَاجِ بِالنَّفَسِ، كُلُّ ذَلِكَ يُوْرِثُ الْفَقْرَ، عُرِفَ ذَلِكَ بِالآثَارِ، وَكَذَا الْكِتَابَةُ **بِالْقَلَمِ الْمَعْقُوْدِ**، وَالامْتِشَاطُ بِمِشْطٍ مُنْكَسِرٍ، وَتَرْكُ الدُّعَاءِ بِالْخَيْرِ لِلْوَالِدَيْنِ، وَالتَّعَمُّمُ قَاعِدًا، وَ**التَّسَرْوُلُ** قَائِمًا، وَالْبُخْلُ وَالتَّقْتِيْرُ وَالإِسْرَافُ وَالْكَسَلُ وَالتَّوَانِيْ، وَالتَّهَاوُنُ فِي الْأُمُوْرِ.

قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ، وَالْبُكُوْرُ مُبَارَكٌ يَزِيْدُ فِيْ جَمِيْعِ النِّعَمِ خُصُوْصًا فِي الرِّزْقِ، وَحُسْنُ الْخَطِّ مِنْ مَفَاتِيْحِ الرِّزْقِ، وَبَسْطُ الْوَجْهِ وَطِيْبُ الْكَلَامِ يَزِيْدُ فِي الْحِفْظِ وَالرِّزْقِ، وَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما: كَنْسُ الْفِنَاءِ وَغَسْلُ الإِنَاءِ مَجْلَبَةُ الْغِنَى، وَأَقْوَى الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِلرِّزْقِ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ

القمامة: الكناسة. **الخلال:** أي يخلل أسنانه بأي شيء يجده، والواجب أن يتخلل بعود الخلال؛ لأنه رفيق وليس منه ضرر. **المبرز:** مكان التبرز، المرحاض.
تخمير الأواني: تنظيفها. **بالقلم المعقود:** هو القلم الذي كسر، ثم ربط بشيء؛ ليمكن استعماله.
التسرول: لبس السروال.

بِالتَّعْظِيْمِ وَالْخُشُوْعِ، وَتَعْدِيْلُ الْأَرْكَانِ وَسَائِرُ وَاجِبَاتِهَا وَسُنَنِهَا وَآدَابِهَا، وَصَلَاةُ الضُّحَى فِيْ ذَلِكَ مَعْرُوْفَةٌ مَشْهُوْرَةٌ، وَقِرَاءَةُ سُوْرَةِ الْوَاقِعَةِ خُصُوْصًا بِاللَّيْلِ وَقْتَ النَّوْمِ، وَقِرَاءَةُ سُوْرَةِ الْمُلْكِ وَالْمُزَّمِّلِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَأَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ، وَحُضُوْرُ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الْأَذَانِ، وَالْمُدَاوَمَةُ عَلَى الطَّهَارَةِ، وَأَدَاءُ سُنَّةِ الْفَجْرِ وَالْوِتْرِ فِي الْبَيْتِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامِ الدُّنْيَا بَعْدَ الْوِتْرِ، وَلَا يُكْثِرُ مُجَالَسَةَ النِّسَاءِ إِلَّا عِنْدَ الْحَاجَــــةِ، وَأَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَغْوٍ غَيْرِ مُفِيْدٍ لِدِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ، قِيْلَ: مَنِ اشْتَغَلَ بِمَا لَا **يَعْنِيْهِ** يَفُوْتُهُ مَا يَعْنِيْهِ، قَالَ بُزُرْجمهر: إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُكْثِرُ الْكَلَامَ فَاسْتَيْقِنْ بِجُنُوْنِهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ: إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ، وَقَالَ الْمُصَنِّفُ رحمه الله: اتَّفَقَ لِيْ هَذَا الْمَعْنَى:

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّ كَلَامُهُ ... وَأَيْقِنْ بِحُمْقِ الْمَرْءِ إِنْ كَانَ مُكْثِرًا

وقال آخر:

النُّطْقُ زَيْنٌ وَالسُّكُوْتُ سَلَامَةٌ ... فَإِذَا نَطَقْتَ فَلَا تَكُنْ مِكْثَارًا

مَا إِنْ نَدِمْتُ عَلَى سُكُوْتِيْ مَرَّةً ... وَلَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى الْكَلَامِ مِرَارًا

وَمِمَّا يَزِيْدُ فِي الرِّزْقِ أَنْ يَقُوْلَ كُلَّ يَوْمٍ بَعْدَ انْشِقَاقِ الْفَجْرِ إِلَى وَقْتِ الصَّلَاةِ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيْمِ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوْبُ إِلَيهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُوْلَ: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِيْنُ" كُلَّ يَوْمٍ صَبَاحًا وَمَسَاءً مِائَةَ مَرَّةٍ، وَأَنْ يَقُوْلَ بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ كُلَّ يَوْمٍ: الْحَمْدُ للهِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، . . . .

يعنيه: يهمه. **ما إن ندمت**: أي ما ندمت، فـ"إن" زائدة.

ثَلَاثًا وَثَلَاثِيْنَ مَرَّةً، وَبَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ أَيْضًا، وَيَسْتَغْفِرُ اللّٰهَ أَرْبَعِيْنَ مَرَّةً بَعْدَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيْمِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُوْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَبْعِيْنَ مَرَّةً: اَللّٰهُمَّ أَغْنِنِيْ بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَاكْفِنِيْ بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ.

وَيَقُوْلُ هٰذَا الثَّنَاءَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: أَنْتَ اللّٰهُ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ، أَنْتَ اللّٰهُ الْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ، أَنْتَ اللّٰهُ الْحَلِيْمُ الْكَرِيْمُ، أَنْتَ اللّٰهُ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، أَنْتَ اللّٰهُ خَالِقُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَالِمُ السِّرِّ وَأَخْفَى، أَنْتَ اللّٰهُ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ، أَنْتَ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَيْهِ يَعُوْدُ كُلُّ شَيْءٍ، أَنْتَ اللّٰهُ **دَيَّانُ** يَوْمِ الدِّيْنِ، لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزَالُ، أَنْتَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ اللّٰهُ الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْتَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ، أَنْتَ اللّٰهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَلِكُ الْقُدُّوْسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيْزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ.

وَمِمَّا يَزِيْدُ فِي الْعُمْرِ: الْبِرُّ وَتَرْكُ الْأَذَى، **وَتَوْقِيْرُ الشُّيُوْخِ**، **وَصِلَةُ الرَّحِمِ**، وَأَنْ يَقُوْلَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَيُمْسِيْ كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: سُبْحَانَ اللّٰهِ مِلْءَ الْمِيْزَانِ،

ديان: القهار. **توقير الشيوخ:** تعظيمهم. **صلة الرحم:** بر الأهل والأقارب، جاء في "الجامع الصغير" أن النبي ﷺ قال: إن الله كتب في أم الكتاب قبل أن يخلق السموات والأرضين: إنني أنا الرحمن الرحيم، خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته.

وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغَ الرِّضَا، وَزِنَةَ الْعَرْشِ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا وَاللّٰهُ أَكْبَرُ مِلْءَ الْمِيْزَانِ، وَمُنْتَهَى الْعِلْمِ وَمَبْلَغَ الرِّضَا، وَزِنَةَ الْعَرْشِ، وَأَنْ يَحْتَرِزَ عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ الرَّطْبَةِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُوْرَةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوْءِ وَالصَّلَاةُ بِالتَّعْظِيْمِ، وَالْقِرَانُ بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَحِفْظُ الصِّحَّةِ.

وَلَابُدَّ مِنْ أَنْ يَتَعَلَّمَ شَيْئًا مِنَ الطِّبِّ، وَيَتَبَرَّكَ بِالآثَارِ الْوَارِدَةِ فِي الطِّبِّ الَّتِيْ جَمَعَهَا الشَّيْخُ الإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمُسْتَغْفِرِيْ رضي الله عنه فِيْ كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِطِبِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، يَجِدْهُ مَنْ يَطْلُبْهُ.

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى التَّمَامِ، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ، عَلَى مَمَرِّ الدُّهُوْرِ وَتَعَاقُبِ الْأَيَّامِ، آمِينَ.

فهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

طبع شدہ

رنگین مجلد

لسان القرآن (اول، دوم، سوم) — تعلیم الاسلام (مکمل)
خصائل نبوی شرح شمائل ترمذی — بہشتی زیور (۳ حصے)
الحزب الاعظم (مہینہ کی ترتیب پر) — تفسیر عثمانی (۲ جلد)
خطبات الاحکام لجمعات العام

رنگین کارڈ کور

الحزب الاعظم (جیبی) (مہینہ کی ترتیب پر) — تیسیر المنطق
الحجامۃ (پچھنا لگانا) جدید ایڈیشن — علم النحو
علم الصرف (اولین وآخرین) — جمال القرآن
عربی صفوۃ المصادر — سیر الصحابیات
عربی کا آسان قاعدہ — تسہیل المبتدی
فارسی کا آسان قاعدہ — فوائد مکیہ
عربی کا معلم (اول، دوم) — بہشتی گوہر
خیر الاصول فی حدیث الرسول — تاریخ اسلام
روضۃ الادب — زاد السعید
آداب المعاشرت — تعلیم الدین
حیاۃ المسلمین — جزاء الاعمال
تعلیم الاسلام (مکمل) — جوامع الکلم

مجلد/کارڈ کور

فضائل اعمال — منتخب احادیث
مفتاح لسان القرآن (اول، دوم، سوم) — اکرام مسلم

زیر طبع

حصن حصین — تعلیم العقائد
آسان اصول فقہ — فضائل حج
عربی کا معلم (سوم، چہارم) — معلم الحجاج

المطبوع

ملونة مجلدة

الهداية (٨ مجلدات) — منتخب الحسامي
الصحيح لمسلم (٧ مجلدات) — نور الإيضاح
مشكاة المصابيح (٣ مجلدات) — أصول الشاشي
نور الأنوار (مجلدين) — نفحة العرب
تيسير مصطلح الحديث — شرح العقائد
كنز الدقائق (٣ مجلدات) — تعريب علم الصيغة
التبيان في علوم القرآن — مختصر القدوري
مختصر المعاني (مجلدين) — شرح تهذيب
تفسير الجلالين (٣ مجلدات)

ملونة كرتون مقوي

متن العقيدة الطحاوية — زاد الطالبين
هداية النحو (مع الخلاصة والتمارين) — المرقات
هداية النحو (المتداول) — الكافية
شرح مائة عامل — شرح تهذيب
دروس البلاغة — السراجي
شرح عقود رسم المفتي — إيساغوجي
البلاغة الواضحة — الفوز الكبير

ستطبع قريبا بعون الله تعالىٰ ملونة مجلدة/ كرتون مقوي

المقامات للحريري — عوامل النحو
التفسير للبيضاوي — الموطأ للإمام مالك
الموطأ للإمام محمد — قطبي
مسند للإمام الأعظم — ديوان الحماسة
تلخيص المفتاح — الجامع للترمذي
المعلقات السبع — الهدية السعيدية
ديوان المتنبي — شرح الجامي
التوضيح والتلويح

Book in English

Tafsir-e-Uthmani(Vol. 1, 2, 3)
Lisaan-ul-Quran(Vol. 1, 2, 3)
Key Lisaan-ul-Quran(Vol. 1, 2, 3)
Al-Hizbul Azam (Large) (H. Binding)
Al-Hizbul Azam (Small) (Card Cover)
Secret of Salah

Other Languages

Riyad Us Saliheen (Spanish)(H. Binding)
Fazail-e-Aamal (Germon)

To be published Shortly Insha Allah

Al-Hizbul Azam (French) (Coloured)